سعيد عقل
شعره والنثر

المجلد السادس

كما الأعمدة
الوثيقة التبادعية

نوبليس



سعيد عقل
شعرُه والنثر

المجلّد السادس

كما الأعمدة
الوثيقة التباديّة

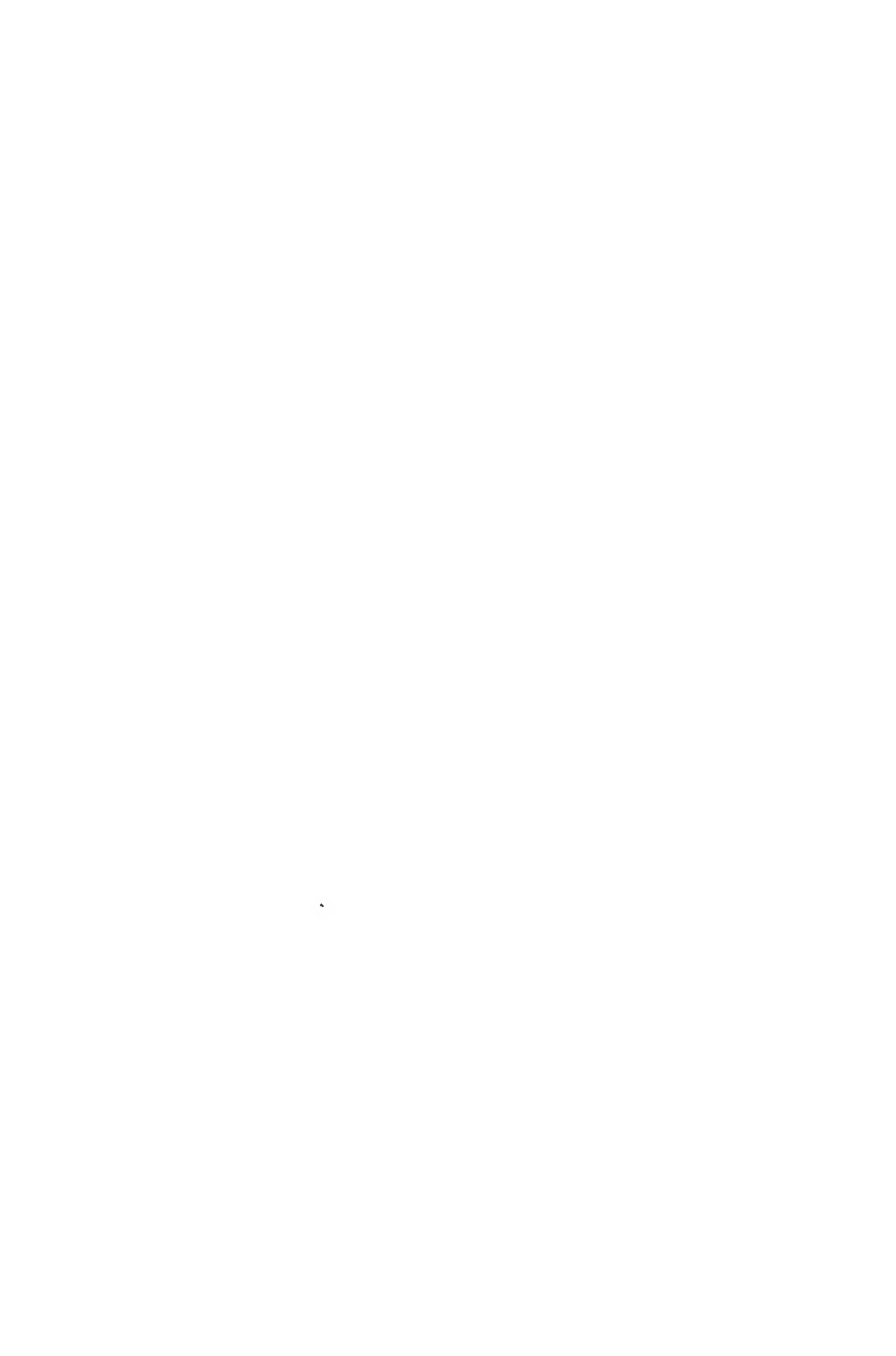
نوبِليسُ

للمؤلف

بنت يفتاح	الطبعة الأولى ١٩٣٥ ـــ الطبعة الثانية ١٩٩١ (مصححة)
المجدلية	الطبعة الأولى ١٩٣٧ ـــ الطبعة الثالثة ١٩٩١
قدموس	الطبعة الأولى ١٩٤٤ ـــ الطبعة الرابعة ١٩٩١
رندلى	الطبعة الأولى ١٩٥٠ ـــ الطبعة الخامسة ١٩٩١
غد النخبة	الطبعة الأولى ١٩٥٤ ـــ الطبعة الثانية ١٩٩١ (مصححة)
أجمل منك لا	الطبعة الأولى ١٩٦٠ ـــ الطبعة الثانية ١٩٩١ (مصححة ومزيد عليها)
لبنان ان حكى	الطبعة الأولى ١٩٦٠ ـــ الطبعة السادسة ١٩٩١
كأس لخمر	الطبعة الأولى ١٩٦١ ـــ الطبعة الثانية ١٩٩١
اجراس الياسمين	الطبعة الأولى ١٩٧١ ـــ الطبعة الثانية ١٩٩١
كتاب الورد	الطبعة الأولى ١٩٧٢ ـــ الطبعة الثانية ١٩٩١
قصائد من دفترها	الطبعة الأولى ١٩٧٣ ـــ الطبعة الثانية ١٩٩١
دلزى	الطبعة الأولى ١٩٧٣ ـــ الطبعة الثانية ١٩٩١
كما الأعمدة	الطبعة الأولى ١٩٧٤ ـــ الطبعة الثانية ١٩٩١ (مزيد عليها)
الوثيقة التبادعية	الطبعة الأولى ١٩٧٦ ـــ الطبعة الثانية ١٩٩١
خماسيات الصبا	الطبعة الأولى ١٩٩١

المجلّد السادس

كما الأعمدة الوثيقة التباديّة



كما الأعمدة

الطبعــة الاولى ١٩٧٤

الطبعــة الثانيــة ١٩٩١

لي صخرة *

مِن أين، يا ذا الذي آستسمَتْه أغصانُ،
من أيـن أنتَ، فَداكَ السَّرْوُ والبــانُ؟

إن كنتَ من غيرِ أهلي لا تَمُرَّ بنا،
أوْ لا فما ضاقَ بابنِ الجارِ جِيرانُ!

---

* « لي صخرة »، « سائليني »، « غنيت مكة »، « نسمت »، « شمام يا ذا سيف »، « مُرَّ بي » كلها قصائد تُغنّي بها فيروز.

ومن أنا؟ لا تَسَلْ. سمراءُ مَنْبِتُها
في ملتقى ما التقت شَمْسٌ وشُطآنُ.

لي صخرةٌ عُلِّقَتْ بالنَّجم أسكُنُها
طارَتْ بها الكُتْبُ قالَتْ: تلك لُبنان!

تَوَزَّعَتْها هُمومُ المَجدِ فَهْيَ هوىً،
وَكَرُّ العُقابين تَربى فيه عِقبانُ.

أهلي، ويَغلون، يَغدو الموتُ لعبتَهم
إذا تَطلَّع صوبَ السَّفْح عُدوانُ،

من حَفنةٍ وشذا أرزٍ كِفايتُهم،
زنودُهم إن تَقِلَّ الأرْضُ أوطانُ.

هل جنَّةُ الله إلا حيثُما هَنِئَت
عيناكَ؟ كلُّ اتِّساعٍ بعدُ بُهتان.

هُنا على شاطئٍ أو فوقَ عند رُبىً
تفتَّح الفِكْرُ قلتَ: الفكــرُ نَيسانُ !

دنيا الى نُقطةٍ شُدَّت ومــا هَرَقَتْ
دَماً، ألَا إنَّ خُلْقَ الحُرِّ سُلطــان !

*

كنّــا ونَبْقــى لأنّا المُؤمنـــون بهِ
وبعدُ، فَلْـيَسَعِ الأبطــالَ مَيْــدان !

على شاطئ الذات

بعيداً، على شاطئ الذات،
في غَمْضَةِ الأشهُبِ،

حوالى مَطَلِّ الوُجود،
في العَبَق الطيِّب،

هنالك، والآنُ بين
المُمَهَّل والمُسْهَب،

شددْتُ يَدَ السرِّ وَهْوَ
على المَهد بعدُ غبي.

*

أنا ابنُ الدهور، ابنُ لبنانَ،
وعيُ الخليقةِ بي،

أنا جُبْتُ ذاتي وأفرغتُ
أُغنِيَّةَ المَطلَبِ،

نَهِلْتُ الذُّهولَ، نهلتُ
شحوبَ الفتى المُتعَبِ،

وصمتَ المساءِ يَلُفُّ
اليتيمَ وقَبْرَ الأَبِ،

نَهَلتُ الشَّقاءَ المُهِلَّ
جميلاً كوجهِ نَبي.

أنا ثَرْوَةٌ كالكآبة
عُمقاً وكالغَيْهَبِ،

غنيٌّ أُحِسُّ الوُجودَ
غُباراً على ملعبي.

يقولون: قافلةٌ،
هنالِكَ، لَمْ تُغْلَبِ،

تَشِيدُ على الفَتْحِ أَثبَتَ
من مَجدِكَ الخُلَّبِ،

لها صفحةُ الأَرْض مرمىً،
وناصيةُ الكوكب.

قُلِ :الفتحُ غمسُكَ في الذات
كَفّاً من الصُّلّبِ،

ورشفُكَ نفسَكَ رشْفَ
العتيقِ من المَشْرَبِ،

كأنَّك حُلْمُكَ ضُمَّ
إليكَ... ولم يكذِب !...

أجملُ الأعراس

ذكّرتني، شجَراتِ، اللوز، بالأبيضْ،
بثوبِ إكليلها وهْيَ اليمامُ البضْ،

بها... تخطَّرُ... تسترخي مدلَّلةً
على ذراعِ فتىً كاللَّيثِ إنْ ينقض.

سَيْفٌ وبحرٌ معاً حتى لتعبدُه،
تقولُ: طَرْفُ الردى إمّا التقاه غض.

مَلاكُـــه هيَ، إن دسَّت أناملَهـــــا
بين الورود استحى شوكٌ لها وارفض...

الله يا شجـــراتِ اللَّـــوز، غَرْنَ ولا
تَغَرْن... فالحُسْنُ أشْهى الحسن ِ ما أمرض!

مِن الزمـان ِ أراهـــا اليـــومَ راجعـــةً
تمشي الـى بيتنـا في طَرْحـةٍ أعـرض.

ودِدتُ لو أتلقَّاهـــــا وأحبِسَهــــــا
في القلبِ شقراءَ شُقْرِ كالشعاع ِ الغض،

أغنيَّـــةٌ هيَ في بالـــي وأسمعُهـــــ
مهبَّ ريح ٍ دنا أو ناسِمـاً أعـرض...

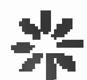
لا لا تخيَّلتُهـــا إلا وزَنْـــدُ أبـــــي
يلُفُّ منها عروساً خصرُهـا ينـهض...

فخر الدين الثاني

يا اندفاعَ الأمواجِ في شاطئِ البوسفور،
رِفْقاً بذكرياتِ الأميرِ !

بيقايا حُلْمٍ تفوَّفَ بالصُّبح،
وألوى، فالصبحُ مأتمُ نور،

فيه من وثبةِ الجريحِ الى الثأْر،
وفيه من احتضارِ النسور !



هو فخرُ الدينِ، الفتى، يقرأُ الأيامَ
في قولِ خازنيٍّ وَقور،

فيرى الأمسَ من مذابحَ حُمْرٍ
نافراتٍ على ممرِّ الدهور.

جَدُّه، قِبْلةُ الشموس، قتيلٌ،
وأبوهُ، دنيا أسىً، في حفيرٍ،

والدُّروزُ الأُباةُ يُغْويهمُ السيفُ،
فيستقبلونه بالصُدور،

وإذا وجهُ عينِ صوفرَ أشلاء،
وآفاقُها بلون الزفير،

ويغضُّ الأميرُ طَرْفاً، ويُخْفي،
خلف جفنيه، هَزَّةً للعصور.

*

بسَمَ الدهرُ للشريد، وأعلى
العرشَ، ظمآنَ، للأميرِ الصغير،

أرضُ لُبنانَ حَفْنَةٌ، إنما ملعبُ
عينيهِ بَعْدَ بُعْدِ الضمير،

عصرت قلبَهُ حدودٌ دوانٍ
فرآها على شَفا المعمور،

واستثارَ الأبطالَ يَستلهمون
المجدَ... دوري بهم، ذرى المجدِ، دوري!

سالَ فيهم شاطي طرابُلُسٍ، وانشقَّ،
تِيهاً، عن أنجمٍ في مسير،

وتداعى عرشُ ابن سَيْفا الى التُّربِ،
وخلّى الصَّدى بِصُمِّ الصخور،

فاذا يُنصِتُ البنونَ الى الموجِ،
يُحسُّونها قناً في الهدير!

*

وتنادَوْا من الشّمالِ الى زحلةَ
يسترفدونها في الكُرور،

فيهبُّ الشجعانُ ضجَّ لهم سيفٌ
وغنّى رمحٌ سيبقى سميري...

دانَ مجدُ الفُريخِ، دانَ شَفا
الأُردنِّ، في وثبةٍ ونفخةِ صور.

عُصبَةٌ بُسَّلٌ رَمَوْا بالمواضي
عند قبرِ المسيحِ، رمْيَ النُّذورِ،

قيل: حجٌّ ! وقيل: شوقُ سُيوفٍ
نزلَتْ في النُّهى نزولَ النُور.

❊

كاد وجهُ الأمير يَحجُبُ من مجدٍ
عريقٍ، على السُّهى منشور !

كاد لبنانُ يلتقي العاليَ البابَ
بزَنْدٍ سَمحِ الفُتولِ، قدير !

فتلوَّت أَستانةٌ روعةَ الواجف
هزَّتْهُ غَصَّةُ المقهور،

حلَمتْ بالشواظِ يُمْطِرُ لبنانَ،
وبالكرِّ بالعديدِ الوفير،

فإذا البَرُّ من غُبارٍ عُبابٍ،
وإذا البحرُ من دُخانٍ خَرور،

مِن عِدىً بُكَّرٍ العَتادِ، تكاد
الأَرضُ ترنو إليهم بنفور.

لم يَرُعْهُ التقاؤُهم وعلى الكفّ
فؤادٌ له حبيبُ الكرور،

راعه حُلمُه تُحطِّمُه الأَقدارُ،
طفلاً في هدهداتِ السرير،

فامّحى عن عَدِيِّهِ، يكظِمُ الغيظَ
اشتياقَ اليومِ الكبيرِ الكبير.

*

بينما الناس هُيَّمٌ بِعليّ
وَلَدِ السيف، حَدُّه المستطير،

كان في مقلَبِ النهارِ أَميرٌ
مُجهَدُ الطَرْفِ، مجهدُ التفكير،

يتلوّى على الخريطة، حُلماً
شائعاً في خطوطِها والسطورِ،

مُتْعَبٌ، يَفجُرُ الأَسى مِخْجَرَيه،
وتداويه بسمةُ المحرورِ،

تعتريه، شوقاً الى مجدِ لُبنانَ،
ارتعاشاتُ مطلبٍ مأسور

ويودُّ التقاءَةَ الأَرز بالوهم،
فيَجري به الى البوسفور،

واذا بالنهارِ يستبقُ الليل،
ويطفو في قلبه الموتور،

فتقول الخريطةُ ارتقصتْ زهواً،
وطارتْ من كفّه في سرور !

حَملَته الى شواطئِ لُبنانَ،
أَواذِيُّ من منىً وحُبور،

والتقاه البَلاطُ مولىً سيحمي
جبهةَ التُّركِ من عدوٍّ مُغير،

« شَفيتْ من طموحه » مقلتاهُ،
وتعرّى من الخيالِ الخطير،

لو رأَوْا في البَلاطِ نوراً لكبُّوا،
في خضمِّ البوسفور، بازَ القصور !

*

داسَ في أَرضه الأَميرُ، فراح
الجبلُ المَيْتُ في ثيابِ النشور،

وسرت رِعشةٌ بلُبنانَ هزَّت
من ذُرى أَرزه الى صخرِ صور:

أُمَّةٌ تستردُّ مجداً سليباً،
وأميرٌ يلهو مع المقدور.

يا حِجاراً خوافتَ اللونِ في لُبنانَ،
قُصّي كتابَ عهدٍ نضير!

قلعاً كنتِ، ضاحكاتٍ من النَّجم،
حساناً، ممرَّداتِ الخصور،

أنت تَيرونُ! أنتِ عجلونُ! أنتِ
المَرْقَبُ السَّمحُ ماطراً بالسعير!

أنا ما دُستُ مرَّةً حجراً منكِ،
ولم أنتفضْ لذكرى الأمير!

حَدِّثي! حدِّثي! ففي لونكِ الناحِل
أطيافُ جيشِنا المنصور!

سالَتِ الأَرْضُ بالخيولِ معَ الأُردنّ،
سالت مع الخيالِ النَّفورِ،

تزرعُ الرايَ خافقاتٍ، من العاصي
الى المْيتِ، ضاحكاتِ النُّشور،

ومن الأَبيضِ الكبيرِ الى تَدْمُرَ،
رقراقَةَ السنى والحُبور.

ضحكتْ، يومَ عنجرَ، الأَسَلُ السُّمْرُ،
وشكَّتْ قلبَ الضحى المستجير،

لَجِبٌ طيِّبُ العَتادِ التقته
باقَةٌ من شبابنا الممرور،

سايفته،لا قَطْعُها قَطْعُ جُبنٍ
رامحته،لا شكُّها شكُّ زور.

أَجفَلَ السهلُ للطِّعانِ، وأَغضى
وجهُ حَرْمونَ للدم المهدورِ،

ينثرُ السيفُ قِرنَهُ، فتخالُ
الأَنجمَ الحمرَ من حُسامٍ نثيرِ،

وتخالُ الأَميرَ، في جَيشِهِ العابسِ،
يمشي على ابتسامِ الثغورِ،

ظلَّ هَزْجُ الفرسانِ يلعبُ بالليل
الى سفرةِ الصباحِ الطريرِ،

فاذا صبحُ مصطفى، قائدِ التُّركِ،
حزينُ السنى، حزينُ السُّفورِ،

ما رآه الأَميرُ إلا التقاه
بسخيٍّ في كفه، موزورِ،

ضربَةٌ منه سمحةٌ كبَّتِ الفارسَ
في قلبِ جيشه المدحور،

وأطلَّتْ شمسُ الغَمامِ، فحيَّت
جُنْدَ لُبنانَ بالشعاعِ الغرير،

ما انتهى مصطفى فقال ابنُ مَعْنٍ:
« يُعْطِكَ اللهُ، لستَ لي بأَسير،

أنتَ حرٌّ ! فطِرْ الى الشمسِ قلباً
واملأْ العينَ من سنى التحرير ! »

*

نكَّستْ هامَها الجبالُ، ودان
الشرقُ للمستقلِّ فيه، الجدير.

وجهُ فخرِ الدينِ انتفاضةُ قلبٍ
مستهامٍ الى الخيالِ، كبير،

قِدَّةٌ من جبالِ لُبنانَ، في الليل،
ومن ضحكةِ القنا في النحور،

يعتلي صهوةَ الجَوادِ عَبوساً،
فعلى الشرقِ رِعشةُ المخمور،

ويذوبُ الصهيلُ في سمعِ أسْتانةَ،
نجوى جِداً ونجوى نفير،

أيخلّي مرادٌ الرابعُ العرشَ
على وهدةِ الردى والشفير ؟

أيخلّي أميرَ لُبنانَ تيّاهاً،
يشكُّ البندينِ في البوسفور ؟

حُلُمٌ في خيالِ لُبنانَ رحْبٌ،
رعرعَتْه فينيقيا في الصدور:

سُفُنٌ تمخرُ العُبابَ وتُبقي
الهِرقليَّاتِ، خلفَها في قصور،

تقصدُ القُطْبَ، والشواهقَ في القطب
تؤاخي مناجماً في بكور،

وتدورُ اعتزازةً حول بِكْرِ الأَرض،
تُغري النُّضارَ من أُوفير،

تزرعُ المُدْنَ في الشطوطِ، تربِّي
قاهرَ المستحيل رمزَ القدير.

ويتيهُ السلطانُ في حُلْمِ لُبنانَ،
فيُلوي على جِسامِ الأُمورِ.

*

حملةُ اليوم، لو تكونُ للُبنانَ،
لردَّته سيِّدَ المعمور!

مِن رجالٍ أَوْفَوْا على الهمِّ عَدًّا،
وسفينٍ أَربت على التَّقديرِ،

فاللَّهيبُ اللَّهيبُ يُمطرُ لُبنانَ،
ويرميه بالردى والدُّثور،

ويخلّيه شعلةً من صخورٍ
بعد أَن كان شعلةً من زهور،

وحوالى الأَميرِ من كاظمٍ قَسْراً،
ومن حاسدٍ أَتيِّ الشرور،

أَعينٌ يخنقُ السنى لفتةً منها،
فتُغضي على مُرادٍ ضرير،

ما اطمأَنَّتْ للتُّركِ يولونها القوةَ،
إِلَّا تفجَّرت عن قبور،

العِدى في رجاله، والعِدى التُّركُ
بحورٌ إليه إثرَ بحور،

يلتقيهم لبنانُ بالعُصبة البُسَّلِ
تاقوا الى الطِّعانِ الأَخير،

فيموتون عن نفوسٍ كبارٍ،
وينامونَ ملءَ طرفٍ قرير.

قلعةٌ إثْرَ قلعة تُسْلِمُ الأَبراجَ،
إلَّا تَيرونَ، أُختَ النسور،

معقِلُ الحُلْمِ كم أَبت أَن تَداعى،
هُزُؤاً بالزمان والمقدور،

ما رماها الأَميرُ بالدمع، لولا
السُّمُّ في مائها الزلالِ النمير،

ورعته بطرفها ورعاها
في وداعٍ أدمى غناءَ الطيور،

ومضى، سيفُهُ كسيرٌ بأستانةَ
مُخضوْضِبٌ بحلْمٍ كبير !

*

يا اندفاعَ الأمواجِ في شاطئِ البوسفور،
رِفقاً بذكرياتِ الأمير !

الهُنَيْهَة

عالَمٌ طيّ نَغَمْ،
يتحدّاه العدمْ،

ضَمَّةُ القَبْلِ إلى البَعْدِ
بعُمْرٍ مُنْتَهِبٍ!

دقّ كالبرقة، شُكّت
خيمةً فوق الأُمم،

لا وثوبٌ في ظنونٍ
لم يُفجِّرْهُ هِمم،

أو بناءٌ من خيالٍ
لم يُرغِّرْغهُ شَمَمْ،

يُخصِبُ الفِكرةَ يستنطِقُها
السِرَّ الأَصمْ،

ويعرّي بيديه
الشمسَ في قلبِ القَتم.

*

وإذا نحنُ، الى الله،
شِراعٌ في خِضَمْ!

تكسّرت الأسيافُ

تصبّاكَ شِعري، قلتَهُ قِمَمَ المجدِ،
سلامٌ عليه السَّيفُ أُعجِبَ بالغِمْدِ !

وقلتَ به ما صيَّر الآهَ وردةً
وأنتَ جِراحُ الآهِ، يا نسمةَ الوردِ !

• في يوم امين تقي الدين.

حَبَبْتُكَ، ما حُبّي الشهامةَ ؟ ما الغِوى
بأَهلي وبالقِمّاتِ من جَبَلي الفَرْدِ ؟

أَنا، بعدَ ما ظُلْمَتَينِ تَطَلَّعَتْ
جهاتي إِلى نفسي ونفسي إِلى الزُّهدِ.

هُناك التقينا وافترقنا،... جراحُنا
لتبنيَ، لكنْ أَنتَ تسكرُ بالوعدِ،

وأَقسو أَنا أَقسو، أُريدهُمُ لها،
فإِن جَبُنوا طُلَّتُ الجناحين لي وحدي.

*

كأَنّي مهبُّ الرّيحِ، والصَّعبُ منزلي،
وشُغْلِيَ حَطُّ الحُسْنِ في الحَجَرِ الصَّلْدِ.

كأَنّي غموضُ الليل، لم يَبْقَ عازفٌ
لِجنّيَّةٍ إِلّا ورقْصها عندي..

أَقولُ: الحياةُ العزمُ، حتَّى إذا أنا
انتهيتُ تولَّى القبرُ عزميَ من بعدي

وأقرأني يوماً كما لو من الصَّدى،
ومن كاعبٍ في الشِّعر عاليةِ النهدِ،

لتُفدى الحياةُ استُجمِعَت في قصيدةٍ
وغَنَّت وردَّت... فانتشى الأفقُ من رَدِّ...

تقول بها: «خَبَّأْتُ يا ليلُ فيكَ...»، ولْيُكَمِّلْ
ويَفْنَ الليلُ في النَّغَمِ الرَّغْدِ!..

تعاظَمَني ما ظَلَّ منها وما انتهى
ويُعدي، وعينيكَ، البهاءُ به، يُعدي...

وصِرنا هي الدِّفلى... وصِرنا أنا الندى.
ونُنقَشُ من ديوانِ شِعْرٍ على الجِلْدِ...

ذَرُوني... سأَطوي قصَّتي مع قصيدةٍ
الى أن يطيبَ العُودُ في نَقرةِ الكُرْدِ.

*

ويا أيُّها الدِّيوانُ ضَمَّ شمائلاً
كما ضمَّ موجوعَ العَرارِ ثرى نَجْد،

تَنزَّلْ تُخَلِّ الشِّعرَ أَشْعَرَ، والهوى
أرقَّ، وذاكَ المنحنى جنَّةَ الخلد!

لِحِبْرِ هَمي كالضوءِ عن جَرِّ ريشةٍ،
تطلعَّتِ الأَقلامُ تَنهلُ مِن نَدّ...

هُو السَّفْحُ يُستهوى، على أنه الذُّرى
إذا قُصِدَتْ خلَّت لُهاثاً على القَصْد،

كذا طُرُقُ الأَبطالِ في القولِ والوغى
وما سَهُلَتْ إلّا جبانةُ مُرتَدّ.

إذا نَقْطُ حرفٍ شاءَهُ رَبُّ مِرْقَمٍ
أنيقاً، فقلْ عينٌ تعذَّبُ من سُهْد.

تعالتْ يَداهُ شاعِرٌ، كلُّ نَسْمَةٍ
تُلِمُّ بما أخفاه، تَشقى بما تُبدي،

وَلُوعٌ بأنغام السُّكوتِ يَصبُّها
لِمِلَّة رَفْضٍ، يُسْكِرُ الضِدَّ بالضدِّ،

أنا واحدٌ منهم، فلولا أنينُه
لكانتْ لِقرطاسي جفاءَةُ مُعْتدّ.

يقولون بي غالى ؟ أنا بَعْضُ نُبْلِهِ
وأنظِمُ، عيني في قصائِدِهِ المُلْد...

سَليلُ الأُولى قيلوا السيوفَ[1]، رَنَتْ لهم
جِبالٌ وقال الحقُّ: مِن بعضِهِمْ جُندي.

---

١) الدروز.

على ريفِ لُبنانَ نَمَوْا مثلما نما
الضياءُ، وسالَ الفَجْرُ في القِمَمِ الجُرْدِ،

وأنَّى مَضَوْا ظَلُّوا بلبنانَ قلبُهُمْ،
ويَصبو الى أَرْضِ العرينِ هَوى الأُسْدِ.

يُشرِّقُ شَطٌّ أو تُغرِّبُ مَوْجةٌ
وهم عنفوانُ الصخرِ ليس الى شَدٍّ.

أنا اليومَ منهم في قصيدةِ شاعرٍ
لَتسكُنُني كالريح تَلْفَحُ من بَرْدِ.

أعودُ اليها الآنَ هل طابَ نَقْرُهُ
على العودِ، ذاكَ الغارسُ القُرْبَ في البُعدِ ؟

وذاتِ دَلالٍ كلَّ صُبْحٍ تزورُني
فأقرأُها مِن أَخْمَصَيْها الى العِقْدِ،

الى جَبْهَةٍ باقٍ على الشمس ظِلُّها،
إليها جميعاً إذ تَعَرَّى مِن البُرْدِ:

هنا مِثْلُ قَوْسٍ ضاربٌ فوقَ هُدْبِها،
هنالك صُبْحٌ صيغَ مِن سَكْبَةِ الزَّنْدِ،

وتَعذُبُ... لكنْ ليس تَسْهُلُ، صعبةٌ،
فتُعطي ولا تُعطي، مُلعَّبَةَ الصَّدِّ

بِقَدٍّ تسامى زنبقيًّا فإنْ هوى
وأَوجعَ... قُلتَ اللحنُ ماتَ مع القَدِّ.

وتَقْلَقُ دوماً ليس تهدَأُ، فهْيَ لي
ولِلوجد أو للمجد، أشهى من الوجد !

وزِيدَ عليها مِثْلُ لا شيءَ، مِثْلُها...
كما لَفْحَةٌ تَنْسُيُ الإله على الخَدِّ.

ويَزْلَقُ بي طرفي... أَشَلَّالُ لُؤلُؤٍ
سنى الجِسْمِ مَدْرِيًّا على الشَّعَر الجَعْد ؟

أبيضاءُ أَم صَهْباءُ ؟... دَعْكَ وضُمَّها...
كأَنْ قد أَضلَّتكَ الغِلالَةُ عن رُشْدِ...

تمتُّعُ... صِبا حسناءَ ذاكَ أَم آنه
قصيدةُ مَن إن راح يَنْظِمُ لا يُردي ؟

به أَو ببعضٍ من سُلالةِ شِعرِهِ
زهونا زُهُوَّ البرْقِ أَو قصفةِ الرعدِ...

وربَّ كلامٍ رُخْتَ تنسى رنينَه
ومِدْرارُهُ ما زاد عن حَبَّة الرَّند،

تكسَّرتِ الأَسيافُ دونَ جَلالِهِ
وقالت بلادٌ: حُجَّهُ، إنه مجدي !

مِن وردتين اثنتين الشمسُ...

سيفٌ على البُطْل أم شيماتُكَ الحُرُمُ ؟
ـ يا شِعرُ خَلِّدْ ـ وسيفٌ ذلكَ القَلَمُ!

فكيفَ مَرُّكَ بالجُلّى ؟ سألتُكَ قُلْ
ما هابَكَ الموتُ ؟ ما انزاحَت لكَ الظُّلَم ؟

* في ذكرى شبلي الملاط.

ماضيكَ، غزَّارَةٌ كالصحــو، مُلْتَــفَتٌ
كأنَّمـا الصَّقْرُ في تَحديقِــهِ نَهَــمُ،

صَدَّقْتُهُمْ كُلُّ هٰذي صُوَّحَتْ، طُوِيَتْ،
صَدَّقْتُهُم فَتَّ في عَزْمِ الشَّبا الهَرَم،

صَدَّقْتُهُــم عَلِمــوا بالعَبقــريِّ مضى،
لكنهــم بِشمـوخ الـرأسِ ما عَلِمــوا.

*

بالأمس دينــولَنْكَ استنجدْتُــهُ عَبِقــاً
منــه الخَــزامُ، عَلِيَّــاتٍ به القِيَــمُ،

فَخِلْتُني فَلَكِيــاً، مِثْــلُ البــراعَةِ لي،
حَولـي يَدورُ السُّهـى يَجثو ويَستَلِمُ،

أَبابِلٌ، قلتُ، زارَتْني وقـد حَمَــلَتْ
إلَــيَّ أشيــاءَ أم غنَّانِــيَ الهَــرَمُ؟

ولِعْبتُ، أولَعْتُني، وَدَّتِ لو تكونُ أبا
روحُ الربيعِ، ووردُ الزَّهْرِ والأَكَمُ!

*

ما لي أغنيكَ: «أهلي النورُ مَنْبتُهم،
عالونَ كالأرزِ، جارِ اللهِ، ما رَغِموا

ما نكّسوا هامَةً إلاّ لِخالِقِها
إلّا لِلُبنانَ ما دانوا وما احتكموا،

في إثرِهِمْ أنا دُنيايَ الجمالُ، وإنْ
باعدتُ فالسفحُ من لُبنانَ والقِمَمُ،

إلّا إليكَ إلهي، ما مددتُ يدي
أجوعُ؟ من شرفي خُبْزٌ ومعتَصَمُ

ويومَ مرَّ ببالٍ أنْ تكونَ لنا
يَراعةٌ بالهُدى والنُّبلِ تضطرِمُ،

علي السنى وعلى شَكّ القنا رَبِيَتْ
على الزئير ، أُواناتِ الحِمَى أَجَم ،

ظَنَنْتُ شِعْرَكَ فخرَ الدين مُنتهِراً :
« جنودَ عنجرَ ، هذا يومُها الهِمَم ! »

يَسْخَى فيَسْخَوْن ، قُلْتَ السيفُ في يده
يسخى وتلتفِتُ القِيعان والرُّجُم ،

حَرْمونُ في الأُفْقِ يَروي عَن بطولتهم ،
صِنِّينُ يَغوى بِهم تِيهاً ويَنسجم ،

لله ما مادَ مِن بُرْجٍ ، وزُلْزِلَ عن
سَرْجٍ ، ومَن قَضَموا رُمْحاً ومَن قَحَموا ،

هُمُ الأُولى أَخذوا عن راسياتِهِمُ
أنَّ القِلاع وأنَّ الراسياتِ هُمُ !

حَتَّى إذا قال: « كُفُّوا، قد عفوتُ أنا،
بِحسبيَ النَّصرُ، ما لُبنانُ مُنْتقِمُ »،

تَلاحَظَتْ مِن أساها الخيلُ صاهِلَةً،
وفُتِّتَتْ كاظماتٍ غيظَها اللُّجُمُ،

لكنَّما عَبْسَةٌ من حاجبيه طَغَتْ،
فعادَتِ الخيلُ كالفُرسان تَبتسم !...

*

طَابَت قصائِدُ خِلْتُ الجيشَ مندفعاً
فيها، ومؤتلِقاً في أُفْقِهِ ٱلعَلَمُ !

شِعْرُ الرجولَة، شبلي، أنتَ نَبْعَتُهُ
بِكَ ارتوت أُمَّةٌ، مِنك انتَشَتْ أُمَمُ.

بَلى بَلى، لَكُما في الدَّهْر وَقْعُ خُطىً
على العُلى لُوِّنَتْ مِن شأْوِها الدِّيَمُ.

أَلفاظُكَ الدُّهْمُ حُمْرٌ حينَ تَرْصُفُها،
لا حُمْرُهُ أُسرِجَتْ أبهى ولا الدُّهُمُ.

أأنتَ أم هُوَ مَن خَلَّى الجمالَ على
مفارِقِ المَجدِ، مُفْتَنًّا بما يَسِمِ؟

خَلَطْتُ بينكُما حتَّى لأَسألُهُ
أشاعِرًا كانَ حِينَ الطَّعْنُ مُحتدم؟

تَوَقَّع السَّيفُ يومَ اختالَ في يَدِهِ
ما سوفَ تأخُذُه عن حِبْرِكَ الحُمَمُ.

أنتَ المُرَوِّعُها الأفكارَ تأسِرُها،
هو المُمَنِّعُها الهِمَّاتِ يَنْتَظِمُ.

هُنا امتشاقٌ لمعنىً زَنَّ بارِقُهُ،
هناكَ نَقْطٌ بِنَصْلٍ والحروفُ دِمُ.

تُغـري ويُغْـري فَلَفْـظٌ منكَ هَزُّ قنـاً،
ومنـه قَطْـعٌ تَقـولُ البـيتُ يُخْتَتَـم.

أرهفتُماهـا القَوافـي حَدُّهـا لَهَبٌ،
أجريتُماهـا المَـواضي سَيْلُهـا عَرِمٌ.

مَرَرْتُمـا فوقَ دُنيانـا معـاً ومعـاً
لاعبتُمـا المـوتَ حتّـى لَهْـوَ مُنْهَـزِم.

يا صِنـوَه مَنبِتاً ذاكَ الـذي نَحتـوا
مِن اسمِه اسمَك، هَل أُنطَقْتُ مَن وجَموا ؟

تفي ولو أَنتَ خَلْفَ القبر، هاكَ أَنا،
في يوم ِ خُلْدِكَ، صوتي بَعْضُهُ الكرم.

مِن وردتيـن اثنتيـن ِ الشَّمسُ أَرفعُهـا،
فالكونُ شَخْطَةُ حِبْرٍ والمَدى كَلِـم !

فِي البال خلف الحرير الزهْرِ خاطرةً
تملمـــلت قُلْتَ حُسنٌ بالهـــوى بَرِمُ،

ـــ « حبيبيَ الحُلْوَ، نادت، والذِّراعُ على
جيدٍ، وُجُودٌ أنا أم وَهْمُ مَن وَهموا ؟

خَلَمْتَني ؟ أَكْمِلِ آخَلْقَ، ليس أَجملُ من
إطلالةٍ راكـــعٍ في بابهـــا العَـــدَم.

مِن بَعدِ ما أَلتقي نفسي يُخَيَّلُ لي
أنـي أنـــا قُبلـــةٌ حَرَّى وأنتَ فَم ».

لا لم أُجِبْها، جمعتُ الدَّهرَ، مَن عشِقوا،
مَن أَسكَروا الكأْسَ، مَن قالوا ومَن أَثِموا.

سَقيتُهـا لا دمُ العنقـــود أطـــيبُ لا،
ولا الخلـــودُ ولا ما فَتَّـــقَ القِـــدَم،

وما بقرطاجَةَ استَهدَوْا وما اعتَزَمَتْ
بِبعلبكَّ الطِّوالُ السِّتَّةُ العُظُم.

رَوِيتُها لي، لِيالي، لِلزهور، لَها،
كما رويتَ لِعودٍ أَنَّهُ نَغَم!

فَقَرَّبَتْ شَفَةً وَلْهى إلى شَفَةٍ،
وهَبَّ يَعْطِفُ قَدَّ الزنبقِ النَّسَمُ.

أَوَّاهِ مِن كَرمةٍ لَم يَصْحُ قاطفُها
إلاَّ ليشهَدَ هذا الكونَ يَنعدم!

ومَن رَقَى الموتَ؟ مَن قالَت أَصابعُهُ
سأَسْحَرُ السِّحْرَ حتَّى تُبْعَثَ الرِّمَم؟

أَمانَ عَينيك، بيتَ الشعر، أَنت لها،
يا أَنْجُمُ ارْقُصْنَ لي، غَنِّينَ يا سُدُم!

الشِّعر قَبْضٌ على الدُّنيا مُشعشِعَةً
كما وراءَ قميصٍ شَعْشَعَتْ نُجُم،

فَأَنْتَ والكَونُ تيَّاهان: كَأْسُ طِلاً
دُقَّتْ بكأسٍ وحُلْمٌ لَمَّهُ حُلُمُ.

*

عالٍ كما أنتَ شبلي، ما رَشَقْتُ به
بابَ السماءِ وما بالغَيب يَصطدِمُ،

أَتي على المُغلَقِ المَرصودِ فانفَتحت
كَفٌّ من الله ما الأَزهارُ ؟ ما الحِكَمُ ؟

شِعرٌ إليَّ يَشُدُّ المنتهى جَزِعاً
قَلْباً، ومِنهُ بقلب المُنتهى أَلَم.

سارَرْتُها الشمسَ، أيُّ الخَمْر يُسكرُها
حتّى أُصُبَّ ؟ فقالت: « يُسْكِرُ الشَّمَم ! »

النهران

وُلدتُ سريري ضِفَّةُ النهر، فالنهرُ
تآخى وعُمري مثلما الوردُ والشَّهرُ،

وكان أبي كالمَوج يَهدُرُ، مرَّةً
يُدحرج من صَخرٍ وآناً هو الصخرُ!

* في الاحتفال بنيل شولوخوف جائزة نوبل.

وقد علَّماني الحَقَّ، ما الحَقُّ؟ دُفْعَةً
كما السَّيلُ عنه انشَقَّ واخضوضَرَ القفر.

وعُمْرٌ شَرارٌ ليس يأْسُنُ ينتخي
على الصعْب، فهو الشَّرْدُ والبردُ والحرّ،

وأنك خطٌّ كالشهامة واقِفٌ
إذا انهار ظَهرُ الناسِ أنتَ لهم ظَهر.

وما قَلَمٌ بالكَفِّ إن لم تَهِم به
مواضٍ وتَحسُدُهُ الرُّدينيَّةُ السُّمْر!

تَوحَّد مَنْ مِن حَزِّهِ طاب حِبْرُهُ،
ومَن بتلقي طَعْنِهِ افْتُتِنَ الصَّدر،

أنا عنهما ذَيِّنِكَ الشائِلينِ بي
أخذتُ ولم أسكَرْ، وبي تَسكَرُ الخمر!...

كأنّـيَ بين الموج والمجدِ ساكنٌ،
وداريَ بنتُ الصُّبح ما شابَها عَصْرُ.

لَئِن تَحْكِ عن نَهْرٍ فشَطْرُ قصيدتي
يُطِلُّ، وهُزَّ السيف يكتمِلِ الشطر !...

*

تُحَبِّبُنيـهِ «الـدونَ» كُلُّ تُرابـةٍ
سَقاها سَقى أُختاً لها القَلَمُ النضْرُ؟

كلامُك يُغرينـي، يُرنِّـحُ خاطـري،
يُذكِّرني بالأرض، أرضي اللَّها ثَغْرُ،

تُقَبِّـلُ حتّـى لَهْـي أُمٌّ... وطفلَـةٌ
رِضَىً... وعروسٌ فاحَ مِنْ رُدْنها العِطر!...

أُغنّي أنـا لُبنـانَ أَجْمَـلَ ما شَدا
كَنـارِيُّ غُصن رَقَّ، لكنـه نَسْر...

وأنْتَ تُغنّـي رُقعـةً من جبالهـا
جبـالٌ، عليها مُتعَباً يتّكـي الدّهـر.

كِلانا شَغـوفٌ بالصِّفـاف وأهلِهـا
يُتَشِتُهُـم نَبـعٌ يُخَلِّقُهُـم زهـر،

كَنَبعهـمُ أعطَـوْا جديـداً وطَيِّبـوا،
كزهرِهِـمُ الدنيـا، وكالزهـرةِ افترُّوا...

تُغنّي هدوءَ « الدون » ؟ عَفْوَكَ: أهلُـهُ
إذا بَعثروا فَجْـراً أهَـلَّ لهـم فجر !

جَلَلْتُكمـا عنهـا فلا « الـدونُ » هادئٌ
ولا أنت، إلَّا أن يَلُفَّكمـا السِّرُّ.

أُسائِـلُ: « هل حارت بغير نُهاكُما
عقولٌ، وهل جاهى بمثِلكما العَصرُ ؟

ونَهْرُ الرجالِ المُنتهي خَلْفَ أنجمٍ
وأنت تَخُطُّ النهرَ، أيُّكُما النَّهر ؟ »

*

حَبيتُكَ، يا غزَّارَةً ما تجاهَرَتْ،
ومَن قال: صوتُ الناي أجمَلُهُ الجَهْر ؟

تَميلُ على القِرطاس تأمُرُهُ: آمتثِلْ
غَماماً، فيَسخى ليسَ يَجْرحه الأَمرُ،

إخالُ الرِّقاعَ الخُضْرَ بِتْنَ حبائباً
إليكَ... فها عُنُقٌ يضِجُّ وها خَصرٌ !...

وأنت حَواليهنّ كَفٌّ عطيَّةٌ
كما الله إنْ قَطْراً أرادَتْ هَمى القَطْر !

وإن أنتَ قصّفتَ الغُصونَ تلألأتْ
غصونٌ عليهنَّ الطيورُ لها كَرُّ.

تُعاتِبُ أنتَ الشَّيحَ والريح، باعداً
عشيّاً، فتبكي الريحُ والشيحُ يصفرُّ !

ألا أين مِنْكَ الصاحبون ؟ هَزَزْتَهُم
بِقولٍ وبعضُ القول ناهِدَةٌ بِكر.

لِطَرفةِ جَفْنٍ مِن حَياها غَضيضَةٍ
يَذِلُّ الذي في القَصْر أو يَقَعُ القصر،

ولِلَّفظةِ المكنونِ سِرُّ جمالِها
نَفاذٌ كهَدِّ المَوج جُنَّ به البحر.

*

تَقُصُّ ؟... ارتفق بالشّعر، أنت بِدَعْتَهُ
كلامُكَ زَهْرُ الجَمْر لو يُزْهِرُ الجمر.

تَخُطُّ كما خَطَّ اللعوبون بالعُلى
على أنمُلاتٍ منهُمُ اغترب الفِكر،

يَحُـــرُّونَ كونـــاً، يَنزِلـــونَ بآخـــرٍ
وكُلٌّ على كَفٍّ... فقلْ بعدُ ما السِّحْر !

*

إليكَ بنَفْـــحِ الأَرز جَمًّـــا بعثتُـــهُ،
وعُلِّـــقَ عُودُ اللهِ في الأَرز. فالنَّقْـــرُ

وشيكٌ. كُنِ العـــوَّادَ واَضرِبْ بريشةٍ
على مَوعدٍ مَعْ مثلِهـا العَمْـرُ والغَمْـر.

وأنتَ من اللائـــي يُحِبُّـــونَ. إنهـــم
على أرضِكَ المِعطاءِ، أَفديهِـم، كُثْـر.

ومِن عِندِنا المَجْدُ الذي المَجْدُ بعضُهُ
إليـه رنـا مَن أُلْهِـمَ السِّفْـرَ، والسُّفْـرُ،

فلَـمْ يُعْطَـهُ من سار بالشِّعر لاهثـاً
ولكنَّما مَـن جـاءَ يَقصِـدُهُ الشِّعـر.

اللون الآخر

بيالي مررتَ اليوم، فَلْيَشتعِلْ بالي،
كأنكَ قَصْفُ الرعد في الجبل العالي،

كأنكَ لونٌ في الطبيعـــــةِ آخَــــرٌ،
أوِ آسْمٌ كطيرِ الرُّخّ أو شجرِ الضّال.

----

* ليلة تذكر الرفاق عمر فاخوري.

لِخاطـــرةٍ أُغرِيَتَهـــا وحَبَسْتَهـــا
بلفظٍ، بكـى غيـرانَ لؤلـؤُ لَآلِ.

إذا القـولُ ما شَدَّ الربيـعَ، ولا شدا
على كلِّ حرفٍ منه عُصفورُه الغالي،

ولَـم يَسترخْ فيـه الزمـانُ، وتشتـبكْ
نجومٌ بأَزهارٍ، كما المِعصمُ الحالـي،

فلا كان !... إن القولَ ما آهَ من هوىً
وشعشعَ، قلتَ الأَرضُ مُسَّتْ بزِلزالِ.

*

حَبيبتُكَ تُغنـي العَصر، تُطلِقُهُ علـى
الرِّيـاحِ، تُمَنِّيـهِ بإكثـارِ إقـلالِ،

تُلقِّنُـه كيـفَ افتنـانُ أُصابـعٍ
بمجدٍ، وكيف المَجدُ تَحطيمُ أَغلالِ.

فلا صَغُرَتْ أرضٌ، ولا قَلَّ شعبُها،
ولكنها الدنيا لِجَوَّابِ آمال !

لِمَنْ بَرِمَتْ منه يدانِ رماهما
بأن تغدُوَا في السكب دفقةَ شلاَّل !

فلا شيءَ مما طاب شيئاً ولعبةً
تشيل الرُّبى، إلاَّ تأتَّى لشيَّالِ !

*

كفى أن تُحِبَّ الحُسْنَ، مقلَعُكَ السَّنى،
تُقصِّبُ: باني الضوءِ بانٍ لِأجيال.

*

ومَنْ ماردُ الباب الذي قلتَهُ ازدهى
وطُيِّبَ مَرصوداً كما الماءُ في الآل ؟

يقولونَه حُلماً يُخَيِّبُ ؟ ويحهم !
أما واهمٌ بالحُبِّ أشرَفُ مِن سالِ ؟

مُقـــامُك في أرجائهـــم كان هَتْفَـــةً
بموتـى، وكـان المستجيرَ بأَظـــلال:

تَخالُهُـمُ دنيـــاك، إذْ هُمْ بَريقُهـــا...
وآلهـــةً، إذْ همْ تماثيـــلُ صَلْصال...

*

سيَبقـى لك النَّسجُ الـذي أنت ربُّـه،
ولِـلشمس نَسْجٌ كُلُّ ما دونَـهُ بالِ.

غُبـارٌ على الثَّـوب الـذي أنتَ خالـعٌ
لَمِنْـــهُ عروشُ الأرض تُشرى بمِثقـــال.

وإن أنتَ، يومَ الرَّصْد، ما كنتَ مارداً
وبابـاً، فمـا خَزْنٌ ومـا فَضُّ أقفـال؟

*

سلامٌ علـى الغزَّارةِ احمَـرَّ وجهُهـــا
ولكـنْ كمـا الـوردُ الوديـــعُ بإدلال،

أَقولُ: آنزِلي، يا بعلبكُّ، آنزِلي معي
آلزمانَ خططناهُ كما الوردُ في البال!

ومنّا الذي تاقَتْ الى وجهه العُلى،
ومنّا العُلى فليمّحِ الطَلَلُ البالي.

*

مِن الغيبِ، فوقَ الغيبِ، وَقْعُ حوافرٍ
تطلَّعْ! حِصانٌ راح يَغوى بخيًّال!!

نَهْرُ الذَهَب

حلمتُ وكان الضُّحى لم يُفِقْ
بأنَّ وسادَكِ زندي القِلق،

وفوقَ محيَّايَ، شَعْرُك نهرٌ
من الذهب المُندري المندفق،

أهِي مرَّةً، ومراراً أُضيع
كما وردةٌ في العبير العَبِق.

هُويناكَ، يا حلمُ، هذا المساءَ،
ستقسو، وبعدَ غد، ستَرِق...

أنا مَرَّ أُسبوعُ عمرٍ ولمّا
أمُرَّ بدارتها أُسترق

إلى حُسنها، قُلْتَني بُلْبُلَ الأَيك
شَرَّدَهُ عندليبٌ نزق،

تَجيءُ الفَراشاتُ مُحلولياتٍ
الى حِيف شُبَّاكيَ المنغلق،

فأَغمزهن: أَمِنْها ارتزقْتُنَّ ؟
بَشَّرْتَني أنني مُرتزق...

فراشاتُ، أيٌّ تَمُرُّ بِشَعْرٍ
وليست تَودُّ به تحترق ؟

أَنا ليتني كنتُ في السِّرب ! كنت
تأَنَّيت عندَ البياض اليقق...

وما لامست أُنملي ذلكَ النحر،
كلّا ولا الناهِدَ المنطلق...

ولكنني كنت مُتُّ بعينين،
خَمْرُ السماءِ إذا يندلق...

كلامي على ربِّ الكلام

كلامي على ربِّ الكلام هَوىً صَعْبُ،
تهيَّبتُ! إلاّ أنّني السيفُ لم يَنبُ.

ورُبَّ جمالٍ رُحتَ تَرسُمُ طيفَه
تصبَّاكَ كالسيفِ استجاب له الضَّرب،

* في احتفال بعلبك بعاشوراء.

وما لُغةُ الأَقلامِ من لُغـةِ القنـا ؟
اثنتان؟ سأَلتُ الحُسْنَ: ما الجَفْنُ؟ ما الهُدْبُ؟

لَيَطــرَبُ لا إلاَّ لغــزَّارةٍ جرت
كما الفَرَسُ الدَّهماءُ طَيَّبها النهب،

إذا صَهلت غِبَّ التَّلاحُم ردَّها
أخو مِرَّةٍ في الـدَّوِّ من وقْعِه رُعْب،

يَذود عن الذِّمّات ليس يُبيحها،
بِه الشرْقُ مَدَّ الصوتَ فالتفت الغَرب.

*

حببتُ عليًّا مُذ حببتُ شمائلي،
لَهُ اللُّغتانِ: القولُ يَشمَخُ والعَضْب،

بِهذاك يُعليها، بهذا يَزيدُها
أيكبو؟ ولكنَّ الأَصائلَ لا تكبو!

لَأشرفُ مَن قاسى، وأَسمَحُ من سَخى،
تقول على رَملِ البوادي له حَذْب.

بَلاغتُـــه الليـــلاءُ أُسُّ أريكـــةٍ
فكيفَ بما أَبلى الذي وثبُهُ الوثب؟

*

وهَل، يا تُرى، هل قادِرٌ خَنْجَرٌ على
حبيبِ فِرِنْدٍ؟ بَكِّني وابكِ، يا حُبّ!

تَخيَّلتُهـم، أهـلَ النهـى من أُمَيَّـةٍ،
ومَن إنْ عدوٌّ ضِيم واستُصرخوا هَبُّوا،

رَمَوا عند سَمع النعْي شَهْمَ سلاحهم
وقالوا: «لِهذا الشَهْب نُكِّست الشُّهْب!»

*

تَخيلتُهم يومَ الغَديـر وقـد سمـا
سماوِيُّهم: «بَلِّغْ!»، فمُزِّقتِ الحُجْب،

فقال: « ألا مَن كنتُ مَولاه فَلْيَكُنْ... »
وأكملها. يا طيبَ ما اكتمل الدَّرْب !

وكانت إماماتٌ وكانت مَطارحٌ،
مَحَطُّ نُزولِ الله أو يَقْرُبُ القُرْب،

ففي كُلِّ أَرضٍ بعدُ بيتٌ مطيَّبٌ
على اسمِ الأُولى في الكُتْب ليس لَهُم شَطْب

ومَن لا يُحِبُّ البيتَ، سيفُ عليِّه
جميلٌ، وذاكَ النَّهجُ كوثَرُهُ عَذْبُ ؟

كلامٌ كما الأربابُ في طَيلسانها،
ألا فَلْتَداوَلْهُ وتَرتَعشِ الكُتْبُ !

سائليني

سائِليني حين عطَّرتُ السَّلامْ:
كيف غارَ الوردُ واعتَلَّ الخَزامْ،

وأنا لو رُحتُ أسترضي الشذا
لانثنى لُبنانُ عِطراً، يا شآم!

ضِيفُتاكِ ارتاحتا في خاطِري،
واحتمى طيرُكِ في الظَّنِّ وحام.

نَقْلَـــةٌ في الزَّهــــر أم عَنْدَلَــــةٌ
أنتِ في الصَّحْوِ وتصفيـقُ يمـسام ؟

أنــــا إن أودعْتُ شِعــري سكــــرةً
كنتِ أنتِ السكبَ أو كنتِ المُدام.

*

رُدَّ لي من صَبوتــــــي، يا بَرَدى،
ذكريــــاتٍ زُرنَ في لَيّـــــا قَوام،

ليلــةَ ارتــاح لنــــا الحَــوْرُ فلا
غُصُنٌ إلاَّ شَجٍ أو مُستهـــــــام،

وتَهـــــاوى الضوءُ إلاَّ نَجمـــــةً
سَهِــرَت تُطفِــي أوامــاً بِأُوام،

سألتنـــــي مِن دلالٍ قُبلـــــةً
يُعصَرُ الدَّهـــرُ بِهـــا كأسَ غَرام،

وارتَمت يَكْسِرُ مِن هُدْبٍ لها
مُسهَبِ الطُّولِ حياءٌ واحتشام،

وَجِعَت صَفصافةٌ مِن حُسنها
وعرى أغصانَها الخُضْرَ سَقام،

فحَسَرتُ الشَّعر عَن جَبهتها
أسألُ الحُسْنَ أفي الأَرض أقام ؟

وتأنَّيتُ أُمَلِّي خاطري
قَبل أن يحجُبَها ضَمُّ الهُيام،

أو لِخَوفٍ بي على ثانيَةٍ
سَوف تمضي فمُنى العُمر حُطام،

لم تَدَعْ لي شقوةً أحيا بها
ورَنَت يَملأُ عينيها ابتسام،

أومأتْ لي... فامَّحى كُلُّ سنىً
مرهِقٍ، غيرَ فمٍ عذبِ المَلامِ،

وإذا قُبْلتُنا فرَّ إلى
عالَمٍ أبهى وسُكْنى في مَنامْ.

تَقِفُ النَّجمةُ عن دورتها
عند ثغرَينِ ويَنهارُ الظلامْ.

*

طَوِّفي بي، ذِكرياتي، طَلْقَةً
واغنمي أطيابَ ذيَّاكَ الوِئام،

وآمْرَحي بينَ دمشقٍ وحِمى
تلكُمُ الصفحةِ مِن رِفعةِ هام،

خَطَّها صِيدٌ أُباةٌ غَصَبوا
حَقَّهم، والحَقُّ غَصْبٌ أو حِمام،

غالَبـوا السَّيـف عريقـاً حَدُّهُ
فانثنى السيفُ وفي الحَدِّ احتـرام.

هذه « الغوطَـةُ » أوفـى تُربـةً
بهـمُ أم جبـل « النَّبْـكِ » القُـدام ؟

كَم فتـىً بات فراشاً سرجُـهُ
نامَ والكَفُّ علـى سَيـر اللِّجـام !

وفتـاةٍ خَلَـعتْ أُسوارَهـا
تَشتـري خَلْياً لهـا غيـرَ كَهـام[1] !

وشجـاعٍ لم يَسَعْـه عُمـرُهُ
راحَ يحيا سَعَةَ المـوتِ الـزُّؤام !

---

١) من كَهَمَ السيفُ أي كَلَّ.

أُسْدَ الثَّـــورة ! وُسُدتُـــــم ثرىً
هو مِن مَشرِقِنـا الأَرضُ الحَــرام،

طَيِّبَتــه من جَنــوبٍ نَفحــةٌ
عَبِـقَتْ مِن ضارِبٍ في الأُفْق، سام،

جَبَـلٌ(١) يجمــع في أَصلابــه
دَعــةَ السَّفــح الــى عِزِّ السَّنــام،

التُّرابــاتُ به أَهْــلُ وفــاً
ومِــحَكٌّ يَزِنُ الحُــرَّ الهُمــام،

ولــه أَهلــونَ إن يَنْتَسِبــوا
يَشمَــخِ الرُّمْــحُ ويَعْتَــزَّ الـحُسام.

---

١) جبل الدروز.

قُلْ لِذاكَ اللَّيثِ(1) في آجامِهِ:
واحِدٌ نحن إذا الشامُ تُضام،

سائِلِ الأَبطالَ: هل تُنسى لنا
رِفْقَةُ الأَخذ بأَغراضٍ جِسام؟

ولَظى الحِرمانِ مِن أَهلٍ ومِن
غَفوةٍ قَمراءَ في تلكَ الخيام؟

والْتقاءُ الموتِ ضَنًّا بِعلًى
وأَحايينَ اشتياقاً لاقتحام؟

حُرُماتٌ بيننا أَنقى سنًى
من ذُرى الحَرْمونِ أَو طُهْرِ الغَمام،

---

(1) سلطان الاطرش، قائد ثورة ١٩٢٥.

قد سَقينا بالدم المَجْدَ معاً
ومعاً خضنا المجالاتِ الكِرام،

وعَهِدْتُ السيفَ في سلطانه
ناصِعَ الإفرندِ لم يَذْمُمْهُ ذام،

شيمةَ الليث انثنى مُدَّخِراً
صولةَ الضاري ليومٍ ذي جَهام.

*

يا سفينَ المجدِ، ردّي ما انطوى
واقحمي الأمواجَ حين البحرُ طام.

يُسْلِسُ الدَّهرُ قِياداً للذي
يتحدّاه سهاماً بسهام.

جَدِّدي ما وسِعَ الهَدْمُ فما
بسوى الهَدْم لِبانينَ اعتصام،

وأُلَفي المَرَّ بسطحيٍّ المُنى
ليس يُرضي النَّسْرَ ما يُرضي الهَوام،

العبودِيَّاتُ مثْنى عندنا:
في الحِمَى غازٍ وفي العقل قَتام،

تِلْكُمُ دالَت وهذي لم تَزَلْ
سُوسَةً تَبْري فَتَفْتَتُّ العِظام.

آهِ! مَن لي بغدٍ أدنى الى
سَلسَلِ الحُلْمِ وأبهى من مرام؟

تطأُ الشامُ به مُختالَةً
ساحةَ المجهول أو شأْوَ الأَمام،

الحضاراتُ هُنا منبِتُها
شُدَّتِ الدُّنيا الى هٰذي الأكام.

*

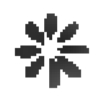
ظَمِـــئَ الشرقُ، فيـــا شامُ اسكُبـــي
واملأي الكـأْسَ له حتى الجَمـــام !

أهــلُكِ التاريـــخُ من فَضْلتهـــم،
ذكْرُهُـــم في عُرْوةِ الدَّهـــرِ وِسام.

أمويُّـــون فإن ضِقْتِ بِهِـــم
ألحَقُـــوا الدُّنيـــا ببستـــان هشام.

أيُّ رأْيٍ[1] أنتِ ما نشَأْتِـــــــه
توأمَ السَّيـــفِ لِفَصْلٍ واحتكـــام !

خلبَ الدُّنيا بمـــا افتَـــنَّ، اهتِفـــي:
كبُـــرَ المرمـــيُّ يومَ الحـــقُّ رام.



١) فارس الخوري.

تَمتم المَجدُ وناغى حُلمَهُ
فوق كفَّيكِ إذِ المجدُ غُلام،

وهو حُلْمٌ لو درَوا أين انتهى
لأتتكِ الأرض حجًّا لمقام.

يا طريقاً من دمشقٍ لم يزلْ
لفتةَ الدنيا وإجلالَ العِظام،

بيْن تخْمَيكَ تَجلَّى للنُّهى
مَطْلِعُ الحقِّ وتعليمُ السلام،

فإذا جُدِّلَ عن مُهرتِهِ
شاولٌ وانكبَّ في ذاكَ الرَّغام،

رُحْتَ تَلقى مَصرَعَ العقل اذا
كانَ للعقل معَ الحَقِّ اصطدام

*

شامُ، يا دارةَ نيسانَ، سقَت
مرجَكِ الخيراتُ في الغيثِ السَّجام !

عِشتُ يَغنى بِكِ شوقي كلما
زُرتُ، والزَّورةُ شوقٌ مستدام،

فكأني شارِبٌ ليس يعي
خوْفَةَ القائلِ: خُذْ آخرَ جام !

وتؤاسيني، إذا حمَّلتِها
منكِ شيئاً، مَشرِقيَّاتُ النِّسام.

لكِ قال الحُسْنُ مذ هِمتِ به،
ذات صبحٍ، ونَضا عنه اللِّثام:

من أنا ؟ أُغنيَّةٌ لم تكتمِلْ،
رُصِدت... الا اذا كنتِ الخِتام،

وأقاحِـــيُّ نَمَت في « دُمَّـــرٍ »
أوَّلَ الدَّهــر ومــاتت في الفِطــام،

فإذا عادَت حيـــــاةً طَفِـــــقَت،
من حَنيــنٍ، تَجِــدُ الدُّنيـــا شآم.

*

أنـــا لستُ الغَـــرِدَ الفَـــرْدَ، إذا
قال طابَ الجَرْحُ في شجو الحمام.

أنـــا حَسبــي أنَّنـــي مِن جَبَـــلٍ
هو بيـــــــن اللهِ والأرضِ كلام.

قِمَـــمٌ كالشمس في قِسْمَتِهـــــا
تَلِــــدُ النُّـــور وتُعْطيــــهِ الأنام.

غنّيتُ مكّةَ

غنّيتُ مكّةَ أهلَها الصِّيدا،
والعيدُ يملأُ أضلعي عيدا.

فَرِحوا، فلألأَ، تحت كلِّ سَماً،
بيتٌ على بيتِ الهُدى زيدا.

وعلى آسم ربِّ العالَمينَ علا
بُنيانُهم كالشُّهبِ ممدوداً.

يا قارئَ القُرْآنِ صلِّ لهــم،
أهلي، هنـاكَ، وطيِّبِ البيـدا.

*

مَن راكــعٌ ويــداهُ آنستـــا
أنْ ليس يبقى البابُ مرصوداً.

أنـا أينَمـا صلَّـى الأنامُ رأتْ
عيني السَّماءَ تفتَّحتْ جُودا.

لو رملــةٌ هتــفتْ بمبدِعِهـا
شَجْواً لكـنتُ لشجوِهـا عُودا.

ضجَّ الحجيجُ هنـاكَ فاشتبِكـي
بِفمي هُنـا يا وُرْقُ تغريـــدا.

وأعِزَّ، ربِّي، النــاسَ كلَّهُــمُ
بِيضاً فلا فرَّقْتَ أو سودا:

لا قفــرةٌ إلا وتُخصِبُهـــــا،
إلاًّ ويُعطى العِطرَ، لا عودا.

الأرضُ، ربّي، وردةٌ وُعِـــدتْ
بكَ أنتَ تقطِفُ، فاروِ موعودا.

وجمالُ وجهِكَ لا يزالُ رَجاً
يُرجى، وكُــلُّ سِواهُ مردوداً.



نَسَمَتْ من صَوب سوريًّا الجَنوبُ،
قلتُ: هلَّ المشتهى، وافى الحبيبُ،

أشقرٌ، أجملُ ما شعَّت الشمسُ
أو طيَّرتِ الريحُ اللَّعوب،

شَعَرٌ أُغنيَّةٌ قلبي لَهُ،
وجبينٌ كالسَّنى عالٍ رحيب.

أنـا إن ساءَلتُ: أيُّ مضَنّـي ؟
قالَتِ القامَةُ: حُبِّيك عجيب !

مثلَما السهلُ حبيبي يتـدري...
مثلَمـا القِمَّـةُ يعلـو ويغيب...

وبـــــه مِن بَرَدى تَدفاقُـــــهُ،
ومِن الحَرْمونِ إشراقٌ وطيب.

ويحَـــهُ ذاتَ تلاقينـــا علـــى
سُنْدُسِ الغوطةِ والدنيا غُروب،

قال لي أشيـــاءَ لا أعرِفُهـــا
كالعصافيرِ تُنائي وتـــؤوب،

هو سَمّانـــي أنـــا أُغنيَّـــةً
ليتَ يدري أنَّه العودُ الطَّروب.

من بلادٍ سكــرةٍ قال، لهـــا
تُرْبَـةٌ نايٌ ونَهْــرٌ عندلـــيب.

ويطيب الحُبُّ في تلك الرُّبى
مثلما السيفُ إذا مُسَّتْ يطيب.

شامُ يا ذا السيفُ

شامُ، يا ذا السيفُ لم يَغِبِ،
يا كلامَ المجدِ في الكُتُبِ!

قبلَكِ التاريخُ في ظُلْمةٍ،
بعدكِ استولى على الشُّهُبِ.

سَكرةٌ يومُكِ، ما الكأسُ
بالكأس دُقَّتْ؟ ما ابنةُ العِنبِ؟

لي ربيـــعٌ فيكِ خبَّأْتُـــه
ملءَ دنيـــا قلبـــيَ التَّـــعِب،

يومَ عيناهـــا بساطُ السمـــا،
والرمـاحُ السُّودُ في الهُـــدُب،

تَلْتوي خصراً فأُومـــي الـــى
نغمـةِ النـــاي: ألا انتحِبـــي !

أنـــا في ظلِّكَ، يا هُدْبَهـــا،
أحسبُ الأنجُـــمَ في لُعَبـــي.

*

طابتِ الذكرى، فمَن راجعٌ
بي كما العودُ الى الطَّرَبِ ؟

شامُ، أَهلـــوكِ إذا هُمْ علـــى
نُوَبٍ قلبـــي علـــى نُوَب،

أنـا أحبابـيَ شِعـري لَهُـمْ
مثلما سيفي وسيـفُ أبـي.

*

أنا صوتـي منكَ، يا بردى،
مثلمـا نبـعُكَ مِن سُحُبـي.

ثَلْجُ حَرْمـونَ غذانـا معـاً،
شامخاً كالعِـزِّ في القُـبب.

وحَّـدَ الدنيـا غداً جبـلٌ
لاعبٌ بالريـحِ والحِـقب!

مُرَّ بي

مُرَّ بي، يا واعِــداً وعَــدا،
مثلمـــا النسمـــةُ من بَردى،

تحمِــلُ العمــرَ، تُبــدِّدُه،
آهِ ما أُطيبَـــــهُ بَدَدَا!

رُبَّ أرضٍ من شذاً ونــدىً
وجِراحـــاتٍ بقـــلب عِدى

سكتتْ يوماً، فهل سكتت ؟
أجملُ التاريــخِ كان غَدا !

واعِدي، لا كنتَ من غضبٍ،
أعرِفُ الحبَّ سنىً وهُدى،

الهــوى لَحْــظُ شآميـــةٍ
رقَّ حتـــى قلتَـــه نفـــدا،

هكذا السيفُ ! ألا انغمدت
ضربةٌ والسيفُ ما انغمـــدا.

واعِــدي، الشمسُ لنــا كُرَةٌ،
إنْ يدٌ تتــعبْ فنـــادِ يدا...

أنــا حُبِّــي دمعــةٌ هجَــرتْ
إنْ تَعُدْ لي أشعلتْ بَردى...

مِن شاعِرٍ

لا مُذْ بكيتُكَ، لكِنْ قبلُ مُذ سكَتَتْ
يراعةٌ لك، قَلَّ الهَمُّ في الـغُصُنِ،

غَصصتُ بالدَّمع، هَل فَرَّت بلابلُنا
طُرًّا، فما مِن شجِيٍّ بعدُ أو لَسِنِ؟

• في ذكرى الاخطل الصغير.

أنا الذي قال: يا شِعرُ، ابكِهِ وأجِدْ
من قبلِ ما كان لا، يا شِعْرُ، لم تَكُنِ!

*

مِنَ الينابيعِ، من عينَيَّ صوتُكَ، مِن
ضَوْعِ البنفسج أضلاعٌ له وجِنـي،

سِرُّ الرَّنين، وهل إلأَكَ يَفضَحُهُ؟
يا ناقِرَ العود مِنه العودُ في شَجَنِ!

والكونُ قُلْهُ رنينَ الشِّعر، قُلْهُ صدىً
لِكَفِّ رَبِّكَ إذ طنَّت على الزمنِ.

ما العمرُ؟ ما نحنُ؟ ما هذي التي كتبتْ
قوسَ الغمام وغُنْجَ الزنبَقِ الغَرِنِ؟

تَشظِّياتُ نجومٍ عن يدٍ فَجَرَتْ
حُبَيبةَ الشيء، وجهُ اللهِ مِنه دُنِـي.

فنحنُ هٰذون، لمَّا نبْقَ في سَفَـــرٍ،
علـى الرَّنين، نجومـاً رُحَّلَ السُّفُـنِ.

*

حَبَبْتُ فيك البليـلَ الــبَثَّ لا يَبِساً،
لليل غنَّى وغَنَّوْا للضُّحـى الـخَشِنِ...

مَنْ لا يَضِجَّ، ويُـــق الآهَ سيِّـــدةً
على الكلام، يُؤاخِ الطَّيرَ في الفَتَنِ،

نَسْجُ التنَهُّــدِ، لكـــن لا يُهَلْهِلُـــــهُ
سَهْلٌ، ففي خيطِهِ من شَمْخَةِ القُنَنِ،

ضَوءٌ خُصصتُ به، بَعْضُ الذي احتَفظت
بيعضِهِ الشمسُ إذ هَلَّت على عَدَنِ.

*

قرأْتُ شِعْـرَكَ، ما أُمـِّي تهدهدُنـــي ؟
تَحكي حكايةَ بِنتِ الريح والفَطِنِ...

أحبَّهــا لم تَزل في قلبــه خَبَــــراً
ولم يَجِنْ آنُ عينيها... ولم تَجِنِ...

شقراءُ شقراءُ قلتَ الصخْرُ مسكِنُها
قد حَدَّثَتْهُ بها عصفورةُ الــوَسَنِ،

فهَبَّ، إغفــاءَةُ العينيــن تُسكـــرُه،
يقول: لا تَقْوَ، يا حُلْمي، ولا تَهِنِ،

إبْقَ الذي أنتَ! لا أبهى لِمبتهجٍ
من السعادةِ لم تَخشَنْ ولم تَلِــنِ.

وقال: هَل هيَ ما قالت مُحدِّثتــي،
وما تمايَــلَ بيــن السِّرِّ والعلــنِ ؟

خطوطُ قامتها في الكُتْبِ ما قُرِئَتْ
لكنها اشتَعــلَتْ في بالِ مُفتَتِــنِ.

فيِ ظِلِّ مجدولتَيها العمرُ... في فَمِها
شَطرانِ للقَمرِ العالي على الدُّجَنِ.

سَجينَةُ الصخرِ، هل إلا غلائلُها
سِجْنُ الجمال؟... ألا، يا ريشتي، انسَجِني،

لعلَّ أن تُلهميني كيفَ أبلُغُها،
وكيفَ أخطَفُها من قَبْضَةِ الحُسْنِ،

أَشُجُّ صَخْراً، أُري الازميلَ ما لُعَبي،
أُعيي الصُّعوباتِ، أُغري عُقدَةَ السُّنَنِ،

حتَّى إذا التمعت غُراً ملامحُها
هَتَفْتُ أجزَعُ: لا حُطِّمْتِ، يا وثني...

ما أفتنَ الأخذَ من شَدْقِ الرَّدى، ويدٌ
تَهُمُّ بالخَلْق، تَرمي الروحَ في البَدَنِ!

ولا علَيَّ أقولُ... آشتَدَّ يا ظُفُري
حَطِّمْ وخُطَّ الغِوَى، صُنْها ولا تَصُنِ...

غامرتَ؟ أكمِل. لك الكاساتُ، أطيبُها
ما قيل سُمًّا ولم تَحْفِلْ ولم تزِنِ.

وكــان أن نالهــا ذيّـالِكَ الفَطِــنُ
الكسَّارُ للجَلْمَدِ، اللَّعَّابُ بالسُّنَنِ!...

عروسُهُ هي وافَتْ أم قصيدتُـــــهُ؟
فدَيتُ أُمّي نَضَت سِتراً ولم تُبِنِ!

*

مَن شاعِرٌ؟ مَن تَظَلُّ الريحُ دارَتَهُ
ترمي بأبراجِها في الأُفْق لم تُشَنِ،

حجارُها شَرَقٌ! فاسمَــعْ تنفُّسَهـــا
بالنُبلِ، قلتَ: بِه قَبْلَ الجَمال عُني.

أَكيدةً مِن هنا، مِن مقلَعٍ وقَعَتْ
عليه ريَّا غصونِ الأَرزة اللُّدُنِ.

أَللهِ نحن! أَما نحيا لأُغنيةٍ،
نَشوى بها لفتَةُ العُقبانِ في الوُكُنِ؟

إن شدَّنا البحرُ لا ملآنَ بعدُ بنا
نُفرِغْهُ منه أَنِ آسكُنْ أَو بنا آنسَكِنِ!

جِبالُنا هي نحن: الريحُ تضرِبها
تَقوى، وما يُعْطِ قصفُ الرعدِ نَختَزِنِ،

عِشنا هنا لا نُهَمُّ، الفَقْرُ مرَّ بنا
ومرَّ مَنْ شِبْرُ أَرضٍ غَرَّهُ فَفَني...

لِلفقر قلنا: استرحْ، للمستبدِّ: أَشِحْ،
غداً على الرمل لا يَبقى سِوى الدِّمَنِ،

ويأخذُ الرفشُ في جَمْعٍ... هنا خُوَذٌ...
هنا أساميُّ... فادْفِنْ، رفشُ، واندفِنِ...

*

غَنِّين غنِّين، يا كاسات، قُلْـــنَ له:
ماتت لنا الخَمرُ والعنقودُ في حَزَنِ.

الـحُبُّ خَمَّش خدًّا واشتكى وبكى،
واستوحَشَ القَمَرُ الراني فلم يَرِنِ.

تَمُـــــرُّ بالأُذُنِ الآهاتُ تسألُهـــــا:
أنحنُ، من بعـــدِه، الآهاتُ للأُذُنِ ؟

غنّينَ غنّينَ... قُلْنَ: المجدُ في يُتْمٍ،
شِعْرٌ بلا المجدِ راياتٌ بلا وطنِ.

من لِلعُلى ؟ لِلصدارات العُلى ؟... أبداً
تبقى الكرامةُ بين الناسِ في غَبَنِ ؟

غنِّينَ غنِّين... صَوتي ضاع... باتَ صدىً...
كالحِصْنِ دُكَّ وظلَّت هيبةُ الحُصُنِ !

*

إنّـي لأُجرَحُ، يا كاساتُ، يا دِيَمـي،
أن يَشْمَتَ الموتُ بالباقين كالزَّيَـنِ !

حقـاً سيغـدو كدُملـوجٍ بمِعصمهـا
حسناءُ لولاه لم تُشْرِق ولـم تكِنِ[1] ؟

عَتبتُ، ربِّي، عليكَ !... الشِّعرُ سيِّدُهُ
مات ! آآمرِ المـوتَ لا يَقْهَرْ ولا يجن[2] !

أأبـى عليـه أنـا تُبلـي أصابِعَـهُ
مَن عن أصابعه السِّحْرُ انجتى فجُني.

---

١) يضرب.

غنِّيـنَ غنِّيـن... يا كاساتُ، يذبحُكُـنَّ
الشوقُ... غنِّين... إن الشَّوْقَ منه ضُنِي!

أَلـــوذُ بالقبــــر ما أَدري أَأَعْرِفُــــه؟
أَمـا محَتْ نَقْشَتَيْهِ دَمْعَةُ المُـــزْنِ؟

أثـورُ! آخُـذُ بالصُّلبـانِ من غضبٍ،
أَردُّهــــنَّ وأَغــوى أَسْيُفــاً وقُنـــي...

يَمُرُّ في خاطري رَهْطُ الرجـال مَضَوْا
ومـا مَضوا تُرَّكـاً لي إرثَ مُؤْتِمِـنِ،

لِهُهُنـالكَ هُمْ سَيْــفٌ، أَنـــا لِهُنـــا!
أَفي بِمجـدٍ وبي صَرْحُ الوفـاءِ بُنـي.

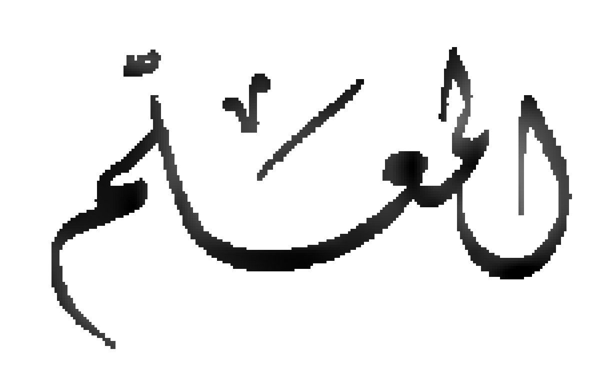
«رُدِّي جمالَكِ»، يا دنيا، أَقـولُ مع
الأَبطال[1]، «غُرِّي سوايَ» اليومَ وآدَّهني!...

---

1) الكلام للامام علي.

هم يَدْنَقُــون، وهَمِّــي النَّــارُ أُشعِلُهــا
مِنْ كِسْرِ عَظمي وإن يَنْفَدْ فمِنْ كَفَني...

ما المالُ ؟... قولـةُ « لا »... واللهِ ألْبَسُهُ
بِه غَنِـيتُ وغيــري بِالتُّــرابِ غَنـــي.



قرأتَ كتابَ الكـون سطـراً محـا سطـرا،
مُعَلِّـمُ، عُدْ فاكتُبْـهُ أجمـلَ ما يُقـرا !

أصابعُكَ استولت على العقلِ فازدهى
تُبـاشِرُهُ نثـراً فتتركُـه شِعـرا...

وتلتَفِتُ الدنيـا وقـد عُلِّـقت علـى
فمٍ لكَ قال السِّحرَ أو أبطل السِّحـرا

لَأَنتَ بِبالِ اللهِ كنتَ، بُعيدَما
رمى الأَرضَ عن كفٍّ وقال: اشتهي أَمرا!

فحارَتْ: كأَنَّ الليلَ ليسَ يلُفُّها،
ولا يتغاوى الجهْلُ يَرمقها شَزْرا،

فقال: انطِقي، إِنَّما تُلعثمتِ أُقلقت
ببالي أَفازيرٌ وأَعمِدَةٌ سكرى،

مِنَ الطُّرَفِ اللائي سأُخلُقُ، يومتا
سأَرتاح، والأَفكار تغمُرُني تَترى...

أَمرْتُكِ فُكّي عُقدةَ الصمت وابسِمي
لِوجهي، لَقَفْرٌ أَنتِ مُبتلِعٌ قفرا!...

على أَنها الأَرضُ استمرَّتْ عييَّةً،
فَمَدَّ إِليها الخَمْسَ يرسُمُها ثَغْرا،

وراْساً، وبعضاً من خَيـال أميـرةٍ،
لها يومَ عدٍّ الحُسن يُؤبه أو يُدرى،

فما هِيَ أَنْ ضاءَت وغنَّى جمالُهـا
لها وروى، حتَّى أفاقَتْ كَمِنْ ذِكرى،

وشالت برأسٍ صوب عينيـه قُلتَهـا
كما ستكون الكأْسُ إذ تمتلي خمرا،

ولامس أُذنَ الله هاتِـفُ قلْبهـا:
ــ بلى، ربُّ، هاني أشتهي القَلَمَ الحرّا،

ألا اخلُقْه، لا كالناس، هُمْ تُربَةٌ رِضىً
تفي، وهو غرَّاسٌ كما يَدُكَ الخَضرا،

عَلِيٌّ جبينٍ، حازِمُ اللمح، أبلَجٌ،
يَمُـرُّ به نَسرٌ فَيَعْرِفُـهُ نَسرا.

تصوَّرتُـهُ والـرَّوضَ. ما بيـــنَ زَهــرِهِ
وضِحْكَـةِ عيـنٍ ؟ إنَّـه الأَمَلُ افتـرَّا...

تصوَّرتُـه والريـحَ. ما بيـــن عَصفهـَـا
وقَطْعِ بمعنىً ؟ إنه سَلْكُكَ الـدُّرَّا...

تصوَّرتـه والشمسَ. ما بيـــن بَزْغِهـــا
وهَشَّةِ وجـهٍ؟ إنهـا الصِّلَّـةُ الكُبـرى.

*

مُعَلَّـــمُ، لُمَّ الزقزقـــاتِ وحُطَّهــــا
على فمِ طفلٍ شِئْتَـهُ النُّقْلَ والكَـرَّا.

بِمـلْءِ جَناح لم يَطِرْ، إنمــا رنـــا
إليـكَ، فأَعـدَدْتَ انطلاقتَــهُ الحَـرَّى،

وشِئْتَ له أَنْ يَستعيــرَ شموخَـــــه
من الأَرز غَنَّـــاهُ الزمـــانُ إذا مَرَّا،

وشِئتَ لَه أَن يَجْبَهَ السيفَ بالُهُ
فيدركَ أَن البالَ يَفري ولا يُفرى.

*

مَن العلّمونا ؟ مَن يكونون عزمةً
وقرعاً لبابِ المستحيل خَفى السرّا ؟

رياحٌ ! بلى، هم كالرياح مهابةً،
على أوجُه الأَخّاذ قد حُفِروا حفرا،

وتُعطيك عينٌ منهُمُ قلتَها يداً،
وتُعطيك تُعطي بسمةٌ ما التَوتْ صَفْرا،

بِها مِن محيّا الوالد الصَّعْبِ لَهْفَةٌ
تُهيبُ أَن ِ اقطِفْني ولا قطفَكَ الزَّهْرا !

ويُعطيك نُطْقٌ حامِلُ العِلْم ما انتهى،
ومُبتدِعُ الأَفكار فجَّرها غَمْرا...

وتعطيك، إن تُشْلَحْ على اللوحِ، أنملٌ
وتُكتبُ ما الدُّنيا... وتكتُبُ ما الأُخرى...

خواطرُ قُلْهُنَّ الخصورَ تمايَلَتْ،
وقُلْهُنَّ صار الحُسنُ مُنْحَبِساً قسرا.

*

سألتُ الأُولى خَلف القُرى، فوقُ، علَّموا
تقيهم نَداها، السنديانةُ، والحَرّا:

ثُرى ثانويونَ الذين احتضنتُمُ؟
تعالَوا نَقُصَّ المجدَ، نستلفتِ الدهرا!

أفِقْ من كَرىً، زينونَ صيدا، قُلِ اسمَه
مُتلَمَذَكَ المُضْفي على رومةٍ قَدْرا!

هُمُ شيشرونٌ، عندهم، ربُّ قولِهم
وعندكَ، طفلٌ يحفَظُ اللفظةَ البِكْرا.

أفِقْ من كرىً، لِيانيوسُ، ارمِهِم به
فمــاً ذهبيًّـا أنتَ نشْأَتَــهُ صَقْـرا،

فبـــــات إذا ما وَزَّعَ اللهُ طاولتْ
تجوعُ إلى فيهِ العصافيرُ أو تعرى...

أفِقْ من كرىً، مكسيمَ صورٍ، ورُدَّنا
إلى مركُريلِ السيفِ فتَّته فِكــرا،

فلم تبقَ أرضٌ لم تَهِمْ بخواطــرٍ
له، قلتها الإنجيلَ أو شِعرَه نثرا...

أفِقْ وآغوَ منها، أنطباطِـرُ، هَتفــةً
لكاتونَ طارت فهي هتفتُنا الحَمرا:

« لأمَّا تَمُتْ حُرِّيَّتي لا أعشْ أنــا »
وفي الصدرِ شكُّ السيفَ شرَّفه صدرا.

*

معي من نشيد المجد، قيثارتي، معي...
نَمُرُّ بدار العمر حيث قضى شطرا،

ونسمعُ مَنْ غنَّته: « طِبْ، يا حَمامُ، طب
وهوِّمْ لمن منهم سيجترعُ المُرَّا... »

هُمُ لهمُ، أُواهِ ! آنَّ يُذيبهم
ضنىً، وهْوَ آناتٌ لَتهْدُرُهُ هدرا...

حَمامُ، هُمُ اكذُبْهُم، هو اصدُقْه، إنه
سيعرِفُ أن يشقى، سيعرِفُ أن يُغرى...

حَمامُ، وثلِّثْه له الدمعَ طيِّباً
كما ابنةُ كرمٍ في الجبالِ اكتوتْ جمرا،

فمَن غيرُه يدري بأنَّ حياته
ينابيعُ حِرْمانٍ ويقصدَها يَمْرا

فإمَّا قَسَتْ بالنـاس داوَرَهـا يداً
وإمَّا بدت أقسى به التمسَ العُذْرا.

ويا طيرُ، يا طيرَ الحَمامِ، افتِنْ بهم
بَنِيَّ الرِّضى، أمّا به فافتِنِ العَصْرا!

هل العصرُ إلاَّ ما استطـارَ معلّـمٌ
من الشَّررِ النَّزّالِ في الهِممِ النَّصْرا؟

إذا القـدَرُ الأعمـى تطـاولَ ردَّه
ومِن خلفِهِ النَّسْرُ الأبيُّ مشى نهرا!

وتمضي تُغنّي، ناسَ قِنديلُها ولـم
تزلْ تشتري مجداً وترفضُه خُسْرا،

تُغنّي وقد طارَ الحَمام ولم يعُـدْ
لِقصتِها إلاَّ تأوُّهُهـا جَهْـرا.

أُغنيةُ الحجر

كالهِند سرُّ الهندِ أنتَ، وكالنُّهى
أَوَتنتهي ؟ وإليكَ كان المُنتهى !

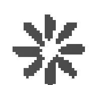
ماذا ! وتَنهزِم السيوفُ كسيرةً
ما نحن، تسأل، ما الحَضيضُ مِن السُّهى؟

* في يوم نهرو.

أَدَّبتهـــا تلك السيـــوفَ، فصُنْتَهـــا
عما تَبـــذُّل، يوم يَصطـــرعُ البَهـــا.

كالهِند أنتَ ! لقـد جمعتَ كتابَهـا،
سِفْـراً سيُقـراُ لا آستُذِلَّ ولا صَهـــا[1]،

عالٍ، ومِ الثلـــج البَتـــول بيـــاضُه
أوْ مِ الحمالايا وهاتـــيكَ الصُّهـــى[2].



أُكملتَهـا النـفسَ الكبيـــرةَ[3] لم تَكُـــنْ
ظِلاً ولـو للشمس ثَبـراً من كَهـــى[4].

---

١) أصيب بجرح.
٢) الأبراج في أعالي الجبال.
٣) المهاتما.
٤) كلف.

أَوْدَعتَ ما في كُلِّ بالٍ من هوىً
وبكل ما يُرجى، جُبِلْتَ، ويُكْتَهى[1].

وَحَدٌّ كما رُئيَ المَلاكُ رُؤىً، ومِن
طِيب البساطة أَين سُلطانُ الدَّها ؟

*

ضُربت على الشُّعَف[2] العمالِقُ حكمةً
هامت، كما الدنيا، تسائِلُ مَن لها ؟

بالرَّعد لاذت، بالرياح، وبالصِّبا
من أَدهُرٍ، وتشبَّثت بالمُزدهى،

حتى إذا بَصُرَتْ بصدرك أُفْيَحاً
ولَجَتْهُ فِردوساً لها... أَو شُبْهها...

---

1) يجلّ.
2) القمم.

أفــأنتَ من لُبنــانَ نسجُ غمامــةٍ
أو صوتُهـا، تلك المكوكِبَـةُ اللُّها ؟

أو سكــرةُ الازميــلِ نُزِّل مُفْــرَداً،
في بعلبكَّ، على يَدَيْ رَبٍّ سها ؟

أنـا بعلبكُّ لي... ولـي هنـدُ المـلَا
أغرودتــا بالٍ إذا الوتــرُ اشتهـى:

أغنيَّـةُ الحجر استفـاقَ الى العلــى،
أغنيَّــةُ الشَّعبِ استقــام فنُزِّهــا،

تلك السُّمُوُّ وهـذه الرِّفْـقُ اعتبِــرْ،
يا خاطـري، وردِ الجمــالَ تألُّهــا !

هَنَّا خَصَرْنـا الصخـرَ أعمـدةً، علــى
إفريزهــا انتحــرَ الزمــانُ مُوَلَّهــا،

وهنـاكَ قدُّوا النفسَ كَونـاً مُفعمـاً
بالله أَروعَ ما أَبـاح ومـا نهـى.

هَنَّـا الضيـاءُ مجمَّـداً ومُقدَّمـاً
للشمس إنْ شحّت، لِقلبكَ إنْ وهى،

يُعطـي ويَرفَـعُ، ما يدٌ إن قلَّـدَت
أُختاً لها؟ طابَ التَّفـرُّدُ مَجبَهـا!

ولَأَعْمُـدٌ ينـهضن، يحملـن السمـا
بِدَعُ الجَهالـةِ هُنَّ أَو بِدَعُ النُّهـى.

وجنـونُ ربِّك فوقَ عَقْـلِ عبـاده
إلاَّ الأُولى جَعلوا الحجارةَ نُبَّهـا...

وهنـاك أَجنحـةُ السلام تَخُطُّهـا
في الأُفْقِ أَقـلامٌ تَرَفَّـعُ عن جَهـا[1]

---

1) خراب.

مِن بعضِهـــا كان البيــاضُ، وقبلُهـــا
والبَعدُ حاضرُها تَشعَّـــعَ أوجُهـــا...

قالت صفاءَ القلب، وسوسةَ الحِلى،
لحظَ الأُميماتِ النواظِرِ مِن رَهـــا[1]،

وكأنمـــا الأنهـــارُ مِن بَشَرٍ ومِـــن
صوتٍ ومن موتٍ... هي الزمن التهى !

*

أُغنيَّتـــان ! الهنـــدُ، سينـــاءُ السلام،
وبعلبكُّ، لُقى الجمال مجهجِهـــا !

هاتـــيكَ قد خَسِرَتْ يديك، وهـــذه
أنّى لها إلهـــامُ أَعمـــىً أكمهـــا ؟

---

1) سعة.

مَن قلَّـدَ البلــدَ الكبيــرَ كَراصِفِ
الحُسْنِ الكبير ! كلاهما لن يُكنها !

*

يا هائماً خَلَلَ الوجود، ألا اشتَعِلْ
في المُعوزين كما الزهورُ، كما الزُّها.

إحدى تعودُ الأُغنياتُ كما الهوى
في القلب إنْ صَدْرٌ إلى صدرٍ شَها.

كالهِند سرُّ الهِنـدِ أنتَ، وكالنُّهـى
أَوَتنتهى ؟ وإلــيكَ كان المنتهــى !

مُلكُ لكَ العمرُ

ما الموتُ ؟ شمخةُ رأسٍ منكَ تُفتقَدُ
واسلَمْ بباقة شِعرٍ، عِطْرُها الأَبدُ !

مَهابَـــةُ الأَرز، بنتُ الفـــارِسيِّ، أَنـــا
نَبكـــيكَ، فلتتغـــاوَ السِّتَّـــةُ العُمُـــدُ.

---

* انشدت في يومي خليل مطران ببعلبك.

ومَن تُرى قال: ليستْ سَبعةً؟ أنذا
عَينِي إليكَ، ألا فلْيَكْمُلِ العَدد.

سِواكَ في الشِّعر فلتَدمَعْ عليه رُبىً،
وأنت فَلتُجرَحِ الغَيماتُ والجَلد.

مُلْكٌ لك العصرُ، ذاكَ القَصرُ تَرصُفُه
ذكراك. رُبَّةَ أمسٍ ضَجَّ فيه غَدُ.

كأنني بِكَ، يوم انزحتَ عن جبلٍ،
تنزاحُ رَدَّتْكَ صوبَ الخالدين يد!

والخالدون هُمُ البُدّاع، من بَعُدوا،
حتى إذا لحِقت دنيا بهم بَعُدوا.

عانيتَ، عانيتها الجُلّى، كما لُعَبٌ
للكَسْر قد أمَّلوها أنّكَ الولَد.

وآنَ رُحْتَ تغنّيها سَموتَ بها،
كَذا يَمَسُّ الخريفَ الطائرُ الغَرِد.

لأنت والفكرُ هَمُّ الله هَمُّكُما،
والآخرونَ بيال الله ما وردوا..

ماذا تَرَكْتَ خلا الأَخلاقَ ؟ لو جَدَثٌ
يَحكي لقال: « السنى في حُفرتي بَدَد ! »

ديوانَ شعرٍ، تُراها الحِكمَةُ انحبست
في دَفَّتَينِ، كما في الغَيمةِ البَرَد ؟

هُنا المساءُ ونيرونِيَّةٌ، وهنا
فَتاتُهُ الجبلُ المحلولِكُ الحَرِد.

أُختُ التي بالضنى والآهةِ اتشحت،
وأَسبلت أَشقراً بالريح ينعقد.

لَهْفي ! أبوها قضى، مَن كان يكفُلُها،
يُتْمُ الحرائــر جُرحٌ ليس يَنضمِــد !

لا هذه سَكتَت، لا تِلكمُ انغمدت
إلاّ إذا مَن غَزَوا أَقداسَها انغمــدوا.

ومــــرَّةً هٰهُنـــا الآبادُ عاصفـــةٌ
بالنـفس، قلتَ بسجنٍ قُطِّع الزَّرد.

ومَن يَعِشْ فوقُ، عَيْشَ الصَّقْر، وُكْنَتُهُ
علـى الشّعافـاتِ، لا تَستغـوِهِ المُلُـدُ.

القولُ لا قال... قال الفعْلُ. فاحتَرزي
يا قامةَ الرمح، أنتِ الطَّعْنُ لا المَيَد.

غالَيتُ ؟... ما ريشةٌ في الكفّ مُشجِرَةٌ ؟
ما جلمــدٌ جُبتَيرِيٌّ السنـــى فَرِد ؟

أيٌّ أداتُك ؟ لو خُيِّــرتُ قلتُ: « به
كتبتَ، ذاك العمودُ الصامِدُ الصمـد،

غططتَــه فــي مِــدادٍ أنْتَ عاصــرُهُ
مِ الشمس أو مِ الرياح الهِيفِ تَتَّقد ! »

مَن كان عُوفِيَ لو أنتَ انضنيتَ ؟ ألا
أهِبْ بأنَّـا قُدامـى الفتــح والجُـدُد.

وُحِّدتُمــا أنتَ في الآساد باكيــةً
وبعلــبكٌّ... كلا فَتَيكمــا أسَد !

تآخذا، شطرُ بيتٍ وانهيــارُ عُلــىً
مِن باب باخُسَ كادَتْ بالرَّدى تَفِـد،

تقول: « مَن يَسْمُ بي، حتى لَيُرجِعُني
إلـيَّ، يَشْهَـقْ له مِن ضَوئِـيَ الجَمَـد،

روحٌ له أنا ذي، وليشْقَ فَهْو أنا،
وبعدُ فَلْيَفتَرِقْ عن روحه الجسد».

وقبلَ أن أُرجِعَتْ، كانت يراعــتُك
افتنَّت تلاعبُ من عَلَّوا ومَن عَضَدوا.

وأعنقتْ لَفْظَةٌ حتّــى لمــاد لهــا
مادٌ وقال: «انزِلي في النَّهر نبترد

فان وقعتِ على زَندي وجِعتُ أنا
للحسن أَطلبه في حَيثُمــا أَجــد!

أكــون عدتُ هبــاءَاتٍ فيخلُقنـــي
خَلْقاً، كأنــيَ ممــا لا أنــا أرِد.

أبهى من البدءِ رَدُّ البدءِ ملعبــةً،
فالعَبْ بكونٍ... ودَعْهُمْ يُفْنِهِمْ حَسَدُ... »

* * *

وعَنْـــدلت قافيـــاتٌ منكَ، فانتبـــهت
حسناءُ نَقشُ عُلىً، في عُنْقِها صَّيَـد.

ـــ أنتنَّ مَن ؟ قلن: « لا تَجّاهَلي اذَّكري،
أما لأُنكِ زلفاءٌ لنـــا سجـــدوا ؟ »

*

خليلُ، خِلتُ العظيـمَ البعـدُ مُتَّكِـــئٌ
في مقلع العِزّ، مَن لم يَحِكه أحـد،

يقـول: « فوقِـيَ فَلْتُنـقَشْ، فلا حجـــرٌ
سِوايَ أَخْلَقُ بالمجد الذي فقـدوا ! »

*

صديقَ لفتـةِ عُمْـرٍ، قد وعـدتُك، لا
أَخلفتُ، لا يُخلف الابطالُ إن وعَدوا.

ألمعتُ... فاعذِرْ ... فما إلاّ على قلمي
اصطكَّتْ سيوفٌ ولا إلاّ بيَ الحُشُدُ.

مُعلِّمــي أَنتَ في الحُرِّيَّتَيــن: هوَى
العُلى، وعَصْفــيَ بالثُّــوّار إن بَرُدوا،

هل كَذَّبوا ؟... قال لبنانٌ أَنا... وأَنا
إمّا وُجِدتُ فبــالأَحرارِ أَنوجِــد !

داوِ شعري

داوِ شعري اليومَ، ها شِعري كئيبُ،
غُصُنٌ شُرِّدَ عنـــه العندلـــيبُ.

في همومـــي كان أن تُغـــرَى به،
عُدْ يَعُدْ للأَرَجِ الذاكـي هُبـــوبُ.

* صبيحة بكينا انطون قازان.

لم تكـنْ ريـحَ الشَّمــال اقتَلــعتْ،
لا الدُّجى يلتـفُ، لا الهـمَّ ينــوبُ،

كنتَ ما لم يُدْرَ بالـحِسِّ وبالعقـلِ:
رُوحَ الـروحِ، تُحيــي وتَــذوبُ!

زُرتَها الأرضَ؟... أشكُّ... اختلْ معي
زُرْتَ بيتَ الشِّعر، كالبالِ الحبيبُ...

ما غروبُ الشمسِ يُعطــي فكــرةً
عنكَ، بل نكهـــــةُ أنْ ثمَّ غروبُ

في المَــلاكِ اتَّفقــوا أنْ مفــرَدٌ
شخصُه، لا مثلُهُ في الخمرِ كوبُ.

أتُــرى من سِربـــه أنتَ؟ أجِبْ.
أوْجَعُ الأجراحِ أنْ لستَ تُجيبُ!

كلُّ شيءٍ هو في الكـــــون، سوى
اللهِ، مَن ناجت ولـم تَدْرِ القلـوبُ !

هو في المابعــــد، في أُغنيَّـــــةٍ
ربَّمــــا تسكُنهـــا أنتَ تَطـــــيبُ.

أنـــا إن تجمَــحْ بعـــودي نغمـــةٌ
كنتَ انتَ الأَمرَ بالعـــودِ تُهـــيبُ.

نِصفُ شِعـــري كان كي تقـــرأَه،
لا تُباعـدْ أو هو القَفــرُ الجــديبُ.

أمسِ، مُذْ دُكَّت قرىً من أرضنـــا،
زُرتَ بالـي موجَعاً فيـــه اللهـــيبُ،

فاستبـــــــــدَّت بي ثوانٍ كُنَّ لي
دقَّ بابٍ، قُلتَني الخاطي يتــوبُ !

ذاكـــرٌ ليلـــةَ نادينـــــا علــــى
رؤيتـي للكـونِ والقـولُ صَخـوبُ ؟

رُحتَ تعلينــــــيَ، حتـــــى لَأَنا
خمرةٌ ضجَّتْ بها الكأسُ السَّكـوبُ،

وُجُهاتُ الحــقّ تهــوى لفتتـــــي،
قُلتَ وجــهُ الله تهــواه الــدروبُ!

ذاكـــرٌ قـولَـــكَ بـــي منتصـــراً
لجُنـوبٍ أنّـــه ثوبـــي الــقشيبُ؟

أَلــبَسُ العِـــزَّ إذا ألــــبَسُه
« آتِنا » منّي كما منها الشحوبُ،

كان هَمّــــــــي نبشَ ما في أرضه
مِن ذُرىً راحت عنِ الله تنــــوبُ،

نقرت صيدونُ من بعدي أنا
وتراً قيثارُه الكونُ المَهيبُ،

وتغاوت صورٌ، لا مملكةٌ
بعدُ أو قبلُ تُدانيها تَلوبُ،

لا على السيفِ انبنتْ، لكنْ على
قولةٍ أنْ ليس في صورَ كَذوبُ،

كلِمَةٌ تُعطَى تفي، صِرنا بها
شُركاءَ الأَرضِ نَجْبي ونجوبُ!

وإذا مريمُ قانا ارتعشت
أنْ أجِبْ، لا في غدٍ، يا مستجيبُ،

وألحَّت نبرةٌ في صوتها
بعضُها لُبنانُ أو شيءٌ قريبُ...

قال: يا ساعـــةُ، فِرِّي من غدٍ
هكـذا يُطَّـلَبُ الوجـهُ العَــذوبُ[1]

يومَهـا، فوق ربىً من عندنـــا،
ظَهَـــر اللّٰه ومـــا عادَ يغـــيبُ !

الجُنوبُ ؟... اشمَخْ به رأساً رضىً،
كان لبنـانُ إذا كانَ الجُنـــوبُ.

كلُّ هذا قلتَـــــه فِيَّ أنـــــا ؟
كلُّ هذا أنتَ إنْ حُقَّ النصيبُ.

ضِعتُ في نُبْـلك من تيـهٍ كمـا
في الـذي قبَّلَـهُ ضاعَ الضليبُ !

---

١) الذي ليس بينه وبين السماء ستر.

إنّي وذكراكِ، الكلامُ اليومَ: ما
تَبْغِهِ يَبْغِ وكالسيفِ يطيبُ.

شئتني أبقى الضميرَ، اشدُدْ يدي
أو أُدمّى وتهاداني الخُطوبُ.

عِشتَ فُرقانَ الهدى، في حيثُما
كنتَ كانَ الحقُّ، ما اليومُ العصيبُ؟...

أَلصعوباتُ العُلى أنتَ لها،
تضرِبُ الضربةَ وُثقى لا تَخيبُ،

بالشَّبا تهجمُ؟ بالصرخةِ؟ لا
إنما باللينِ مرماهُ غريبُ.

مرَّةً تبسِمُ، تُغري المعتدي،
وتهزُّ الرأسَ، أُخرى، فتُريبُ.

لائــذاً بالــسحب تدري أنــــه
وحدَه القوَّةُ إن صابَ المُصيبُ.

يا شقيقَ الدِّيمِ انهالَت علــى
جبلٍ، فهو بما تهوى خصيبُ،

خارجَ المُمكنِ خُلْقــاً ورضىً،
كنتَ، حتّى لَيُمَنّاكَ الوجــوبُ.

لا من الأرضِ ولا من نَبْتِهـــا
أنتَ. أنتَ المعتَلى وهي الرُّسوبُ.

مرَّةً عرَّجتَ. قالــوا: رابَهــــا
أنْ رأت مَن هو للبال ربيبُ،

أعِدِ الكَرَّةَ، زُرْها اليــومَ، زُرْ.
نُسْكِرِ الشِّعرَ أنا والعندلــيبُ.

عملاقُ مِصْر

شِعْرٌ ولا أنتَ؟... في بُرْدي انضنى أَلَمُ
عملاقَ مصرَ، تطلَّعْ، وانحنى هرمُ.

راثٍ أنا اليومَ؟... دَعْني من رِثاً وبُكاً،
نارٌ ببالي وفاءٌ كنتُ أعتزمُ

* يوم احتفلت مصر بعزيز اباظه.

قالوكَ تُكمل خطًّا؟... ويحهم خطِلوا،
فِي غفلة الوحي، أَنت الطُّورُ والكَلِمُ.

أَلشِّعرُ بعدك صار الشِّعرَ، ردَّده
مَن رأْسُه فوقٌ، مَن لم يُغْرِه غُنُمُ.

إِثنان أَهواهما: نُبْلٌ بشِعركَ لم
يَتْعبْ، ولبنانُ منه تتعب الأُممُ.

سُكري بشوقي أَو آني غيرُ ذي شيمٍ
وقولُ شوقي بزحلَ[1] السُّكْرُ والشيمُ،

---

[1]) اشارة الى قول شوقي:

إِنْ تُكْرِمي، يا زحلُ، شعري إِنني
أَنكرتُ كلَّ قصيدةٍ إِلاّكِ،
أَنتِ الخيالُ بديعُه وغريبُه
الله صاغكِ والزمانُ رواك!

هُنا الهوى شَدَّ بين الأُمَّتين، هنا
في الشرق، ما نَسَمَت قبل الهوى نَسَمُ،

لكنَّ شِعرَكَ أَنتَ، الشِّعرُ يعبُدُه
معي، ونَغوى أَنا والليلُ والنُّجُمُ...

ما أَمَّروكَ ؟... إِخالُ التاجَ ضلَّلهم
وجاءَ جبهتَكَ الشمَّاءَ يستلمُ.

*

حُمِّلتُ غصناً من الأَرزِ، استظلَّ به
أَو رعمسيسُ أَو الوفَّادُ من عَظُموا

أَو مَن نماهم ثرى لُبنانَ، مبتَدِعُ
البُدّاعِ: مَن نثروا الدنيا ومن نظَموا،

به أَلُفُّ جبيناً لا الشموخُ حكى
أَغلى، ولا العودُ وفَّاهُ ولا النَّغمُ.

طَوَّقتَ جيدي بأني « عَقلُ أُمتنا
يعُلّ مِن سِحريَ » الأثباتُ والهُيُمُ ؟

كلامُكَ السيفُ، ها بالسيفِ تُرسِلُه،
والاصطكاكُ سَكوتٌ عنده القلمُ !

بديعُ رَصْفكَ، فيه أنت: قامتُكَ
الغيناءُ، صدرُك، صدقُ العزمة، الشَّممُ،

وفيه من أُسرةٍ قُلتَ الرماحُ نَمَتْ
قوماً، وقلتَ بِخَيْلٍ طارتِ الهِممُ !

مصرٌ تنشّىٌ ما القوقازُ أنبتَه
منها الحضارةُ، منه النّبْلةُ الحَكَمُ.

ما الشطرُ من بيتك الملآنِ غير صدىً
لكرَّةٍ عبرَّها الأعداءُ تنهزمُ،

حتـــى إذا ردَّ شطــرٌ آخــرٌ لمَـــعت
أُهزوجـةُ النصـرِ يَخـوى فوقهـا العَلَـمُ!

أمَّـــا القصيـــدةُ، مما رُحتَ تَعْمُرُه،
فـالبرجُ مـاد كمـن بالأُفـقِ يصطـدمُ،

يقـــول إنَّ ابتهـــالأ سِرُّ فتنتـــــه
وإنَّ دقًّا على بابِ السما الحُكُمُ!

*

غنَّيتَ لُبنى، ألُبنى غيرُ مَن هجرتْ
لتسكنَ الدمع في عينيك يَنسجمُ؟

لَنجمةُ الصبحِ ودَّت لو تكونُ لها
بديلــةً، وعليهــا الشِّعـــر ينهـــدمُ.

واريتَهـا لا بتُرْبٍ، بل بوردِ ضُحىً،
والـــحبُّ حبُّك وردٌ بالشذا بَرِمُ...

وفجَّر الدمعُ فيك النبعَ. مصرُ، رِدي
نِيلاً من الشِّعر، يا نيلاً هو الكَرَمُ.

بمصرَ حُبِّبتِ الدنيا، فكيف إذا
راحتْ على الريشةِ الخضراءِ تضطرم ؟

أقولُ: كُتْبٌ الى نجمٍ تُشَدُّ فطِرْ،
حُدوثُ، والعبْ كما لم يلعبِ القِدَمُ.

*

عِملاقَ مصرَ، قوافيكَ الكِبارُ بنا،
بنبلها ما يزالُ الأرزُ يتَّسمُ.

ومَن أنا لأَردَّ اليومَ بَعضَ ندىً ؟
صُمٌّ قوافيَّ في رَدِّ الندى بُكُمُ.

إنْ شاعرٌ هامَ بالنيل انتشتْ قِممٌ،
في أرضنا، أو تصبَّى مادتِ القِممُ.

مِصرٌ هي المَجدُ، كانَ المجدُ مُذْ طَفَرَتْ
في البالِ، فالكونُ أُذْنٌ بعدَها وفمُ.

أُولو النُّهى الصِّيدُ[1] نادَتْهم هياكلُها،
وعِلمُها رَفَدَ الصِّيدَ الأُولى عِلموا.

غاوٍ بها شرفُ الانسانِ، ما خَذَلت
عصراً، وغاوٍ بها ذو الريشةِ العَرِمُ،

إنْ ضامها الضَّيمُ مَسَّ الخالقين دُنىً،
أو نالها الظُّلمُ راح الحقُّ يَظَّلِمُ.

لبنانُ نحن! وها نحن الشهودُ لها،
نَدينُ، يومَ آنتصافٍ، ليس نَتَّهِمُ.

---

١) الفلاسفة الاغارقة.

الحبُّ نحن شرَعنا[1] ، الحُسنُ نحن بدَعنا،
البُغضُ نحن قطعنا أنّه العدمُ،

جيلٌ قالت بقاءَ النفس واكتشفتْ
ربَّما أبى لقضاءِ السيف يُحتكمُ،

الليلُ لولا سُراها غربةٌ قتلتْ
والشمسُ لولا هواها وَهْمُ مَن وَهِمُوا .

بَلى، جراحاتُ مصرٍ في مضاجعنا،
في الروح يُسخى بها، في العَظم يَنثلم،

في الريحِ ، في غَضَبات الغيظ، في غَدِنا،
في مبتغى ما ابتغى الأبطالُ إنْ هجموا،

---

١) اشارة الى قول الاله إيل: « الحربُ ليست من مشيئتي، ضَعوا الأرض الصلحَ، ابذروا في التراب المحبةَ، وصبُّوا السلامَ في الأرض ».

ما لم نَزِنْ مِصرَ وزنَ الحقِّ يبقَ دمٌ
علـى الضميـرِ ويبقـى أَن يُراقَ دمُ!

*

أَطللـتُ منكَ علـى التاريـخِ رنَّحنـي،
همي كما الضوءُ في بالي، كما الدِّيَمُ...

ويَعطَرُ البـالُ إنْ يَمْسَسْكَ، عِطْرَ يَدٍ
مسَّت بنفسجـــةً أَنفاسُهـــا حُزُمُ.

لِمْ لا؟... وفي القَصص العالي الذي نَسجَتْ
غزَّارتـاكَ استجـدَّت سِحرَهـا النُّظُـــمُ.

غدا الهـوى بِدعةً، مرًّا ببـــال هوىً
وسُكْرَ عقـلٍ علىَ القرطـاس يرتسمُ،

وآيـــةً طَرَفَتْ حتَّـــى ليرشُقُهـــا
غيَّـان أنْ أَنـا ضِلّيـلٌ ولـــي جُرُمُ...

بالكأسِ أفديكَ، بالدنيا، بساجعةٍ،
بلوزِ نيسانَ للزَّيْناتِ يَبتسمُ،

بالشِّعرِ، بالمنتهى، بالمجدِ أشعلَني،
بحظِّ عيني بعينِ الحقِّ أَلتهمُ!

حتى إذا لاحَ لي أنّي وَهَمْتُ؟ هَمَتْ
منّي الشجونُ كَمِن أفلاكِها السُّدُمُ!

رفيقَ شطرةِ عمرٍ، ذاكرٌ ولَهاً
بِشِعرِ مَطرانَ والألبابُ تحتدمُ؟

أُسمعتُكَ المُرتجى. ما كان؟... دَعْ خُلُقي
لِلصمت، لا شَرَفٌ إلّاكَ، لا ذِمَمُ!

ما زلتُ منها كما بَوحُ النسيم لمن
من النُّسيمات تُشقي وهْيَ لا عَلَمُ:

ـــ مُرّي بدارتنا، يا طِفلَ، وانحَطِمي
علـى بساطٍ من النِّسرينِ يَنحطِمُ...

بِهُدبكِ الريحُ تنأى، أَنتِ مرتَحِلٌ!
بقدِّكِ الشوكُ يَدمى، أَنتِ منتقِمُ!!

إنْ كان بالهَزْجِ من صبْحيكِ لا أَمَلٌ
فعِند خصرِكِ لِمْ لا يصدُقُ الحُلُمُ؟

حتّى إذا يندري شَعْرٌ وكنتِ غِوىً
تَملْملين، وآهَ القولُ والقَسَمُ،

تَهُمُّ شمسٌ بأَن تَغْشى فأَمنعُها:
ضِيعي معي، يا ضَياعي، وآخْلُ يا ندمُ...

وتسأَلين: لِمن سُهْدي، بمن وجَعي؟
يا قاطفَ الشمسِ، أَكمِلْ أَو أَنا الرِّمَمُ!

ونَنتهـي نَنتهـي في قُبْلـةٍ ولِـهَثْ
وفوقُ يغمزُ فينا بُلبـلٌ رُنُـمُ...

شيءٌ عن الشّعر هذا، آستلّه كَلِفٌ
بالشّعر، أم سُكْرُ صبٍّ ليس يحتشمُ ؟

فلْنبقِه بيننـا سرَّ الكـؤوسِ، بهـا
يَمرُّ هاوٍ فيـدري أنَّـه الجَمَـمُ.

*

عملاقَ مصرَ، إذا أُعوِزْتَ في خُلُدٍ
فضُمَّ من خُلْدِنا ما شاءَتِ الضُّمَمُ،

مِن زهر لُبنانَ خُذْ عرشاً ومن قيمٍ،
لا زهرُ لبنانَ منّانٌ ولا القِيَمُ.

فَلْيَرو الزمانُ

على اسمكَ، بين الحَوْر أغوى وأَهدُرُ،
أَنا النهرُ، شوقي، أَيُّنا اليومَ أَشعَرُ؟

هنا، الذكرياتُ، المجدُ، ما بعدُ من صِباً،
هنا أَنتَ، فليروِ الزمانُ ويسكرُ!

---

* يوم احتفاء زحله بتمثال احمد شوقي.

طرقتَ، لِمامَ الطيف، ذاتَ عشيةٍ
وكوكبَ من حَوْليكَ جِنٌّ وسُمَّرُ...

هُمُ أسمعوكَ القولَ، زُلزلتَ من شجىً،
هُمُ سكبوا، جُنَّتْ بكأسكَ أخمُرُ،

وحتى اذا غنَّى (شفيقٌ) ورُنِّحتْ
بلابلُ واعلولتْ، لِما قال، أنسُرٌ،

وعرَّجَ صوبَ الكون (راجي) يزيدُه
صِباً، وتغاوتْ حِكْمةٌ تتأزَّرَ،

ولاعب بعضاً من خواطرَ أو منىً
بيانٌ لذاك (الشبلِ) بالضوءِ يقطُرُ،

وكانت نسيماتٌ لزحلَ عليلةٌ
تجي وتهِي والليلُ تعبانُ مقمرُ،

يسائلُ: هذا الكونُ أكبــرُ أمِ همُ،
نماهمِ وغنّى أم نمَــوْه وخبَّــروا ؟

هممتَ بنُطقٍ... انما هِبتَ موقفاً
فقلتَ: لكــم يومٌ معي طاب يُذكرُ.

*

على سنتين الأرضُ دارتْ... تطلَّعي،
قصيدةَ شوقي، جاءَكِ السهلُ يُزهِرُ...

تقولين ماذا ؟ أننا السيفُ والنُهــى
لَهَونا بأكــوازِ النجــومِ نبعثــرُ ؟

وأنْ جارةٌ طابتْ على الحبِّ فالتوت،
لهــا فوق زَنْــدٍ غَنجــةٌ وتكبُّــرُ ؟

قصيــدةُ، فُضّي السِرَّ: خصرُ حبيبــةٍ
هنــا أم كلامٌ أبجــديٌّ مخــدِّرُ ؟

أنـا بعدمـا اعـذوذبتُ أُعبُدُ شِعْــرَهُ،
وقعتِ على زَنـدي وشَعـرُكِ أشقـرُ...

هو افتَنَّ قصداً، قِال شَعْرُكِ مِن دجىً
يُستَّرُ... والـعُشَّاقُ دومــاً تستّــرُ...

وقـد لا تكونيـن استجبتِ. رددتِــه
كسيراً... فان يعزِفْ فعودٌ مجبَّـرُ...

تعالَيْ نُحِبُّ الحبَّ، جارةُ، لا انتهى
اليـــه زمـــانٌ، لا براه تحسُّرُ،

كما اسمان في بعضِ الحكايات علقا
مَخِيلَــةَ قُرَّاءٍ فجُنُّــوا ودُمِّــروا...

سِوانا بعصرِ الكرم يسكرُ. نحن لا.
بنا سُكْرُهُ الكرمُ، اقطِفيكِ سأعصِرُ...

أنـــا لي أفانيــــنٌ جديـــداتٌ لذةٍ
عليهـــنَّ كرُّ الثانيـــاتِ مسمَّـــــرُ،

اذا همَّ آنٌ بالنقــــاد ثنيتُـــــــه،
تُرى الآن يُدرى لو أنا لست أنظُرُ ؟

تمرُّ يدي من خلفِ خصرِكِ... لا جنت...
كفى أنْ ستُستهوى... كفى أنْ ستُهدَرُ...

لذائذُنـــا بالشوكِ أغـــرى تفتُّحـــاً
وأوجـعُ من شمِّ العَـــرارِ وأعطـــرُ،

وطـرفُكِ يَخْلَولي لي فيخلـــقُ جنـــةً،
ويقطِفُهـا طرفي فهـــا هيَ أكثـــرُ...

نميدُ ؟... دعينا... بل تميدُ بنا الرُّبى
لنحـنُ غِواهـنَّ الرُّبـى والتبختُـــرُ !...

تقولين لي: «أهواكَ!» تفترُّ زهرةٌ
ببالِ الصدى تحكي... وتبكي... وتسهَر...

وإنْ تسكُتي أُحيَ التقاءَةَ لفتةٍ
بلفتةِ تلك العينِ تدعو... فأُبحِرُ...

الى أينَ ؟... من يدري ؟... لَسِرُّكِ بعضُهُ
الدُّموعُ... وسِرِّي أنني لا أُخيَّرُ!

وألمعتُ أنْ لو يلتقي بفمٍ فمٌ
فألمعتِ أن لو لا يكونُ المقدَّرُ.

وحاولتُ أن أشفى. سوى أنَّ عاصفاً
بصدري رماني حيثُ سحْرُكِ يسحَرُ.

وشدَّكِ صوبي من ذراعي تولُّهٌ،
وأنكِ طوقُ المستحيلِ وأكسِرُ!

*

بعيدٌ قريبٌ... عهدُ زحلةَ بالـــذي
رماها ببالِ النـاسِ حسنـاءَ تطفِرُ...

وآنا هيِ الشِّعرُ الوحيدُ، أما انتهى
الى قولةٍ فيها تعـــيشُ وتخطُـــرُ ؟

عروسيَ، حبّـــي ما بدعتُ. لمنكِـــرٌ
أنا كلَّ شِعري، غيرَ ما عنكِ أسطُرُ !

بقلبيَ، شوقي، أنتَ ! بالنهر، بالنـدى
بكـل شذا وردٍ كمـا الخُلْـقُ يُنشَرُ !

تفينـا الوفـا هذا لأنَّا علـــى الهـــوى
هززناكَ، يوماً ؟ ما الهوى ؟ النُّبلُ أكبرُ ؟

لِمَنْ أجلها ها أنتَ، ما الصبحُ، ما المسا؟
على ضِفَّـةِ النَّهْـر، الأَميـــرُ المؤمَّـــرُ

ولكــنَّ منَّا من بكـى. هل سمعتَــهُ
يسائلُ، والتسآلُ كالبــوحِ يؤثَــرُ:

ــ حديداً رَجَعتَ اليوم ؟! ويحَ مسافرٍ
كما مرمرٌ هَنَّــا، وهَنَّــا تمرمُــرُ،

وما همَّ... كنتَ الشعرَ، يُكتبُ فرحةً
فيقــراً آهــاً، طابَ يَشدو ويَــزأرُ...

يخالـونك الوَقّـافَ: أُحـداثُ عصرهـم
لوتك، كما الأطلالُ والرَّكبُ يهجُـرُ،

يضِلُّون ! لا إلَّا الجمــالُ عبدتَــهُ،
كبـعضِ الدُّمـى أحداثُهـم بك تعبُـرُ.

همومُهمُ الناسُ: الغنى، السكرةُ، العُلى،
وهمُّك رشقُ الآنِ بالحُسْنِ يَبْهَرُ...

تَوافهُ ؟ ما كانوا، ظروفاً تخِذْتَها،
كشمسٍ تدوسُ الليلَ تقهَرُ تقهَرُ ...

همْ مفرداتُ المُعْجَمِ السُّودُ سلَّها
لَيرصُفُها كالنارِ غاوٍ مغيِّرُ،

فتسمعُ دنيا ما يقولُ وما يرى،
وتقلقُ بنتُ الغيب نهداً وتظهرُ !

وما الشعرُ ؟ بعضُ الغيبِ غنَّى كطائرٍ
وبعضٌ نُهىً إن رَدَّ رَدَّ يُحيِّرُ.

ويا رُبَّ حرفٍ أشعلَ الشطرَ كلَّه،
وشعبٍ خرابٍ سوف تبنيهِ أشطُرُ !

أختُ الكتاب

تمنَّعتِ في قلب الشِمالِ كما الحِصنُ
لكِ السَهْمُ يا اختَ الكتاب، لكِ الرَنُّ

عليك تُخَطّ الشمسُ صعباً جمالُها
وآنا تُخَطّ الريح عاصفُها لَدن

فَيسمعُك الحكّام، يَخفُت صوتُهم،
كأن قُلّموا ظِفرا، كأن مَسَّهم وهن

* في يوم « صدى الشمال » الذي احتفلت به الأمة في طرابلس.

ويُشرِق بعضُ النور من صوب اهدن
لأن اسوذا أُشعِرت أن طما آلغبن

ويا نُقطةً م الأرض شُدّت الى العُلى
رجالُكِ الّا بالرجولة لم يَبنوا

صحيفتُنا أم سيفنا ؟ أيّ فارق ؟...
هنا شَمَختْ رأسٌ، هنا شمخ الفن

شُغِفْتُ أنا بالعنفوان، خبِرتُه
صنوفاً، وآخاني كما الغيمةَ المُزن

ولكنَني للعنفوان بمرقَم
تمايلتُ قلتِ الطير مال به الغصن

أسائلني: بالورد، بالشعر، بالسنى،
أنا جئت، أم بالليل أطرحُه يرنو

الـى قلـمٍ لبنــانُ أحــلام بالــــه
وأرزتُــــه ما مُكــتساهُ ومـا الرَدنُ

أنا قلمي ـــ أفديه ! ـــ طفل ازاءه
له الزأر إن نغضب معاً، ولِيَ الأنُّ

يصول يجول، النارُ بعض صريره،
به الأنسُ من غاب الشِمال أو الجن،

وعلَّم أذني كيـف تُنقـر نبلــةٌ
كعود، وعيني كيفَ يتسم الطعن

لَرائعةٌ شكَّاتــه يــوم هـجمـــة
وصافيـــة آراؤه والمــلا جُنُّـــوا

يقول: هنا هادن، هناك أضربِ الخنى،
هنالك خلّ المستبـدَّ لــه عَــنّ

وكابِرْ على جرحٍ وقل: لمَ أُصَبْ أنا
ودعْ قيحةَ الحُكّامِ يُسكرها الأَحن[1]

وأجملُها الهمّات أن غريمَها
يميعُ على الجُلّى كمن هدّه الجبن

وما الحق لم تطرب له، لم تهم به،
هو الراهنُ الغلّاب والآخر الظنّ...

وما ضرّ أن رَدّوا عليك بمثلها
وحطَّم منك الضَغثُ[2] ما حطَّم الضغنُ![3]...

ستكبُر ان تُهزم لأنك في غد
سترجع رُجعى السيف طيّبةُ السنّ

بلى هكذا رحنا معاً نبتني العلى
سخاءً بلهو، وحدَه اللهوُ لا مَنُّ

١) إضمار العداوة
٢) الخلط
٣) الحقد

مُنانا رضى لبنان، وجْهُ خلوده،
نضيع به كالشمس ضاع بها الدَجن[1]

وما همّ أن مُتنا ولم نبلغِ المنى
كفى أن مشينا لا التواءَ ولا هَدْن

غداً، في خُطانا، يجبَه الصعبَ نفسَه
بنونٌ همُ الاسياف مِقبضُها نحن

اليكِ، أيا أختَ الكتاب، مكارمٌ
تَحُجّ، تقول: الكأسُ هَمّيَ لا الدَّنّ

هل الخمر بالحجم ؟... اكشِفي عنك: آتنا
كما صورٌ، قلّ الجِسم واكثوثر الذهن

بأسطرك اللا بالألوف حميته
الشِمال، جِبالاً مِن جنىً حُوِّل الحَزْن

---

١) الليل

فلا مجدَ مِن أرث الجدود اغتفلتِهِ
ولَا غدَ عزٍّ هِبتِه وهوَ مُكتنٌ[1]

جميعاً جمالُ الروح أنتِ له صدىً
جميعاً بهاءُ اللهِ أنتَ له سَدْن

بنفسجةَ الأقلام، يومُك، أُمَّةٌ
بهِ افتُننت والعمر أجْمَلُهُ فَتنْ

لَيُطرِب بالي حملُ قِيثارتي هنا
ولا طرَبَ الأوتار طار بها اللحن

وشِعري الذي غنَاك طيَّبتِ بثَّه
كما دقَّةُ المِهباج طيَّبها البُنّ

[1] مُخبَأ

رصعت بالي

رصّعتَ بالي وعُمري ازهرٌ نضرٌ
كما يُرصّع ليلَ العاشق القمرُ

ودارت الأرض، لُقيانا على وَرق
لقيا التي جُنّ من سَمْعٍ بها الوتر

لا مسها... لا رآها... صُوّرت املاً
في موضعٍ ما... واحلاه الهوى صُوَر

---

* في يوم شفيق معلوف الذي دعت اليه مدينة الشِعر.

ابقى من الحب وُدٌّ اين عارفُه ؟
هل يعرف العطرَ الا زهرُه العَطِر ؟

إن شاعرانِ، كما نحن، استطابهما
عصرٌ وناجتْهما في القبة الدرر

وفتّحا الورد من روض ومن رِيَش
وفتّتا المِسك حتى لهْوَ منهمر

ورقّصا الجنَّ والاحلامَ وانتهرا
بَوَّابةَ الليل أنْ فلْتُهتكِ السُتُر

وكان قلباهما ما الصدق ؟ ما شممٌ ؟
ما الشمس تقطفها كَفٌّ وتعتصر ؟

يبقى على الدهر ما خطّا... وما نسِيا...
وما به آه مما أُسمِعَ الحجر...

أَجِب، أُخَيَّ، الصداقاتُ التي ربطَت
ما بيننا امس، حقاً شابها قِصَر؟

حقاً ستَنقل كُتُبُ اننا خبر
كالغيب يُسأل دوماً فيه: ما الخبر؟

ومرتين، عطيّاتُ الزمان هما،
يشاؤنا نَلتقي لا يَبخل العمُر

على ربى كرمة او ضِفّتي نهَرٍ
له الهدير الذي ما زال يُبتكَر

اقول: خَلّكَ في لبنان، مرتعُها
تلك الطفولةُ نادى والمُنى كُثُر

يُحِبّنا النهرُ، يَروي ان منبتَنا
في حيثما نبتَ الشجعان والشجر

وأنَّ زحْلَ سمــاءٌ بعضُ انجمهـــا
الشعرُ، الندى، الزنبقاتُ، النخوة، الكِبَر

لها الفتوحات حيث الوُلْدُ قد ملكوا
لكنما العـرش حيث الأمّ تنتَظِــر

تحتجُّ انت بِفِلذات لهـم وطــن
هناك، يا جُرْحَ بيتٍ اهلـه انشطروا

الا انفُضِ اليوم عنك القبرَ مدّرعاً
مهابــةَ الصقــر عينــاهُ هوىً شَزر

مجلجــلاً: أنــا كلٌّ لا أشرذمُنــي
على الدخيل انتصرْتُ ؟ الكلُّ منتصَر

وواحدٌ مجدُ لبنان الذي أخذَتْ
عنه الحضارةُ ما لولاه ولا حضَر

جبيلُ بيروتُ صيدونٌ طرابلسٌ
إطارها البَــدْءُ او لا كانت الأُطُرُ

ان مُسَّ ذِكرٌ لِقانا او لِصورَ سنىً
مُسَّ الكمالُ، رؤى التاريخ والِعبر

او خُمّشت لَمعةٌ مِن بَعلــبكَ اسىً
توجّعتْ مُهجاتُ الــحُسن تنفطــر

أقسِّمُ البيتَ ؟! ماذا ! الأنتصارُ سُدىً !؟
ماذا ! دماء رفاقي في الفلا هدَر !؟

لِبعض لبنانَ قاتلْتُ ؟! اشهَدي، شيِّمي،
كما السواحلُ هاتيك الربى الخضُر

شمالُهُن، الجنوب، القلب تلك سما
بالي، لَتبقى ويبقى الرمْل والنَهــر

ووحدَهُمْ اهلّها اغلى على كبدي
منهـا، كعينيَّ اغلى منهما البصـر

جميعُنا لفحَتْنا الحربِ: ذاك بما
قاسى، وهذا بقصْدِ الموت يبتدر

ولن افرّقَ، ناسي الناس لا بعُدوا
كذا الينابيعُ، مائي الماءُ لا الكَدر

ولستُ اخسر نصراً هزّ اعمدةً،
لبنانُ منشطرٌ ؟ لبنانُ مندحر !

تراجعٌ نحن ؟ سُكنى في الخباء ؟ أشِحْ
جمالهُ السيف ان السيف ينشهر

بلى جراحُكَ مِن بَحر تَوزّعنا
هَنّا وهَنّا صغارٌ عندها الحُفر !

اسكنْتَها بعضَ قصدان كما غُصصٌ
للناي اوجعُ منها الناسُ ان غَدروا

إفتِنْ بشعركَ لكن قلْ تحطّمَه
ممن غوَوا وبذِمات العلى كفروا

لوَحدَه في العداوات الدخيلُ، جرى
بباله غَصْبُ ارض تِرْبُها الطهُر

وان نكن لِربىً خضرٍ شمخْنَ هوىً
شطِ وقمّاتِ صخرٍ ليس تنكسر

معانادتٍ، لها في الله، والتفتت
دوماً الى الله، قل هل بعدَها خُسُر ؟

بلى سنبقى ويبقى فوق صخرته
لبنان قهّارَ مَن ما غيرُهم قُهروا

وقالَ مِن خطرٍ نمضي الى خطرٍ ؟
ما همّ؟ نحن خُلقنا بيتُنا الخطر

يا شاعرَ الحكمةِ اعلولتْ كما شرفٌ
هَيمى بما لا حَكى الإغريقِ لا سَطَروا

واين منبتُها ؟ الصحراء ؟ ويكَ ! أجبْ
ءأنتَ ربٌ لِيغشى قفْسرَك الزهَر ؟

تلك الأساطيرُ سُكْرُ البالِ، واحدةٌ
منها مرورُكَ في الدنيا كما الشَرر

تكون كانت، وشقّت عبقرٌ غدَها،
لو لم تَعَرَّ لِعملاقٍ وتأتزر ؟

حقائقٌ ام خيالاتٌ ملأتَ بها
كأسَ الوجود فدارتْ والملا سكِروا

قلتَ الجراحَ زهورَ الحبّ، قلتَ ندىً
هَمَّ الندى، قلتَ ما السُهّارُ إن سهروا

غوَوْا عذارى وزَيْنـاتٍ خواطرَ، ضِعْ
ما بين بين يَجذْكَ الصحبُ يا سمر

الليلُ يشقى بعشاق ؟! ضللتَ منى،
يشقى بها الليـل تلك الخـرَّدُ الفكـر

وقلتَ كيف الهوى الباقي ولو جُرُحاً
اشهى مِن العمر جرّاحا به الضجر !

وقلتَ ما الحـربُ الا القـوةُ أفتُتِنتْ
بنفسها، وزهـــورُ الشر لا ثـمـــرُ

وان حرّيةً فـــوق الجَمـــال هي
الاحـرار، لا الكلماتُ الخُلّبُ الغُرَر

وأن مَن عَمَد العَليا باعمدة
كبِعلبكَّ أَطاعتهُ العُلى الأُخر

حنتْ عليه السماء، أَغفتْ على يده،
كما تغافى على اجفانِه النظر

وقُلتَ ما قاله للشمس عابدُها:
اغدو انا انتِ او لا يُبلَغ الوطر

ماذا! شردْتُ انا؟ حمّلتُ خمرك ما
اهوى؟ لها الكأسُ اما طيّبت عُذُر

جُزْ جُزْ معي صوب اخت الحسن، ربّتِه،
في كل بال أناهيدٌ لها اثر

عرفتُهما انا مَنْ، والحسنُ اعرفهُ
براه ربٌ ولكن كمَّلَ البشر

نقلتَهـــــا عن هواك، اللهَ في يدهِ
شاركتَ !ها بِكَ أنتَ الحُسنُ يأتمر !

أعزُفْ وريشتكَ الهُدبانِ، ضِع وأضِعْ ؟
وعبْرَ هُدبَينِ كم يَعذوذبُ السفر !

يا وردةَ الورد، خُطّي فوق ناسمةٍ
أنْ زرْتِها الارض فاحلولت لها ذِكَرُ

عينانِ لا الليلُ مرمِيًّا بغيرهمـا
ليلٌ، ولا الضوءُ الا منهما خـدِر

ومُعنِقٌ لم يزلْ يعلو كأنْ سحَـر
يقـول ازميلُـه: لا ينتهي السّحَر...

وقامـةٌ شكُّهـا شكُّ الجريـد بدتْ
لِقاهريـن بَهَـوا بالحـرب ما انبهـروا

بلى، التقاءُ التي صُبَّتْ، كما حلُمٌ
في بال شاعرهـــا، قهـــرٌ ومقتـــدَر

لأُمةٍ صانهـــا عن ذلّـــة قلـــمٌ
لا السيفُ اجملُ ان يُسعِفْ ولا القدر

لِمَ انتصرنا ؟ أمتّنا الموت؟ لم نهب
الدنيا تجمّعَ منها النابُ والظُفُر ؟

لأنّنا كان منا شاعرٌ عَبَدَ الحسن،
العلى، المنتهى، العِرضَ الذي يفِر

ندى الغمام، سماحَ الكف، رَدَّكَ لم
تَجبُن — قوافٍ بهنَّ الله يُختصر!

زهورُ لبنان، وهْي الحربُ، ما وفدتْ،
نكّستُها الأسْيُف، اعبرّ رأسَ مَن عبروا

الى الخلود الى حبِّي، الى ملأٍ
أعلى، جِثيٌّ له التيجانُ والسُرر

الى ظلال التي في المنتهى ورَفَت،
على اسم سِدْرتنا، تعلو وتنتشر !

آتٍ مَعي زهرُ لبنانا

ذكراكَ في البال ما ذكراك؟.. قل ضُرِبا
على هوى الرعد سيفٌ أشعل السُحُبا

ولو لِريشة عصرٍ أن تظلّله
لكنتَ كالليل لفُ المنتهى بإِبا

والليل وحدَك تدري أين مَنبَعُه
وكيف كان وكان الله ما وهبا

---

* في مهرجان «أيام طه حسين» بالقاهرة.

مِن قبل ما الأزلُ ابدوْدَى رمى يدَه
على الذي سوف يغدو الكونَ واجتذبا

كذاك أنت، رمتْ عيناك ليلَهما
ثِقَلاً على الشرق، ردَّ الشرقَ ملتهبا !

لا، لم تَقلها «استفيقوا»، انما بدعت
يداك بدعاً تصبَّى الجفن والهُدُبا

بات الذي يقرأ «الايام» مختلياً
بالحسن والحسن يُنبي يومَ ليس نبا

*

بعد الكتاب الشجيِّ استُنَّ مُنتهَج
أنْ يصدق القلم، أزهوهى ام انتحبا

تعلَّم الجيل من طفل تمُرُّ به
أزاهر فترى في وجهه العطَبا

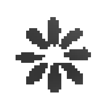
فتكتمُ الحزن عنه خوف تجرحه
لكنه هو لا يستهذب الكذِبا

يمضي اليها يغنيها يحبِّبها
به: « يا أزاهيرُ، انتشي طربا

أنا الطبيعةُ لم تُغدق عليَّ فلمْ
أرُدُّ بالمثل ؟... هاني الكأسَ والحَببا

الا اشربي، يا أزاهير، اشربي: لَيدي
تسخى كما النيل ان واثبتهِ وثبا ».

تعلَّم الجيل من طفل تؤدبه
« الأيام » حتى ليغدو وحده الادبا !



مَن واكبوكَ وَمَن ظلُّوا العجاج بِهِمْ
بنيتَ مصرك واستنبتَّها القُبَبا

كما صرعتَ، رفعتَ: الريحُ آيتُها
أنَ الغِوى هيَ، لا ثوبٌ ولا قَشُبا

واليومَ في ظل ما أطلعتَ من فِكَرٍ
يُنامُ تيهًا على المجد الذي اصطخبا

دعني وخاطرةً تفترُّ قلتُ «نفرتيتي»
تعود على لِعْباتِ من لَعِبا

ذاك الذي حطَّ في الصُلْب الجمال اذ
اعلولى، وسمَّرها الأُغنيَّةَ الذَهبا

مُخَلِياً لشروق الشمس غصَّ شجاً
وباعثاً حَسداً في الناي إن عذُبا

ومَسحةً لا تنِي سِراً ومفتَتَنا
بأن يُرى أرَباً ما لم يكُن أربا

وشائلٌ بغِواهـا وهْــمُ ان لـهـا
مثلَ الجناحين رفًا فوق... واغتربا...

وما التقى الحُسْنُ من لبنان ضجَّ صِباً
بفنّ مصر تغـاوى في الحديـد صِبـا

حتى غدت للأولى قيلوا العقول مُنىً،
وللأولى ارتحـن لاستغبائهـن غَبـا

لا الحسُن، بل حُلْمُ أن الحسنَ طوعُ يدٍ
كأنمـا الله ممـا نفهَـمُ اقتـربـا

ذاك الـذي تَرك التِمثـال متعبـةً
للنـاس قالـوا انتهـى يومَ انتهـى تعبـا

إزميلـهُ أنت أم لِمْسات إصبَعِـه؟
سَلْ وجْهَ مصر وما أُعطى وما خَلَبا

*

ومصرُ ثِنتانِ: ما احييتَ انت وما
أَلهَمْتَ. هذي وتلك الفكرُ منتسِبا

اللهُ؟ أيَّ هُدىً كانت هياكلُها؟
وَمن تَعاجب لو لم تُعْطِهِ العجبا

نادت بُناةَ اثينا من غد، ورمت
في قلبهم شُعلةً تستوقف الحِقبا

واستعجلتهم، فبرّوا أمَّهم كرَما
فكوّا الظلامَ وقالوا القولةَ السببا

ومِصرُ مَنْ علَّمت! لا البَدْعُ تكتُمه
عنهم، ولا خاطراتٌ كالسُيوف شَبا.

كأنها أنت، طلقٌ بالُها بندىً
كأنها أنت، زهرٌ مرجُها بِرُبى

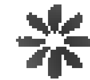
واليومَ مِصرُكَ، مَن اطلقتَ، مصرُ مشت.
فاقرأك شعبَ هُدىً واقرأك شعب ظُبى !

تلك الكرامات في العقل ارتجتك أخًا
تلك البطولات في الحرب ارتضتك أبا.

في الصوت، في الموت، ها أنت العظيم !الا
افتَحْ مقلتيك عليك، استبعِدِ الريبا

انت الحقيقة ! طِرْ بالخاملين، أَفِضْ
فيهم عتُوَّك، ضيْءْ كالنور منسكبا،

سَيِّرَ الزمان الا سرِّعْ، هنا كسِلٌ
شروقُها الشمس في الشرق الذي اكتأبا.



آتٍ معي زَهرُ لبنان وكنتَ صدىً
لثورة في بنيه تنزِلِ العَصَبا

ليست من النار لكن مِن ارادتها
تُعطي الهنيهاتِ نبْضاً، تشربُ الغضبا.

إنزِل بقلبي، بِهَمٍّ الأرز يومَ اسىً،
بالشيح بالريح، بالهبّات غِبَّ صَبا

إنزِل بما ضَجَّ في لبنان من ولهٍ،
بالكِبْر لم ينجرح، بالورد ما انتُهبا

بماردينَ أبَوا الا الحياةَ عُلىً،
بمُمْسكين بقرن الدهر مُطَّلِبَا،

بِحبّهم، بضروبِ العزم في يدهم،
بقولهم للزمان: اركُضْ أم آنتَ هَبا

تكنْ نَزَلت يبعضَ الصخر مِن جبل
له على المجد فضلُ المجد إن صَعُبا

*

هتفتُ باسمِك، ما لقَّبتُ، لي عُذري.
مَنــذا يُلَقِّبهــا الّا بهــا الشُهُبــا ؟

طهَ حسيـن ويكفـي ! ذاكَ منتهَجـي
أنا كما السيفُ طَلْقًا أنـزِل الكُتُبـا.

وَهَل أكُنتهُ الحُرُوف ؟

هُمُ سألوني : السيفَ قلناهُ : هل تُسعَدْ؟
أجبتُ : أجعلوها اثنين : سيفاً ولا يُغمد

أخي نوفلُ، الأبطالِ تُبكى. احتَفِلْ بها
دموعي، ويَبكي فَرقَداً في العُلى فرقد

شُغِفْتَ بِشعري؟ قُلتَه شَكَّ رامحٍ؟
لَبيتُ قَصيدي أنت، والكَلِمُ الخُرّد

---

* في رثاء نوفل الياس

تُصفِّق لي، ها صَفحتي قُبَّةُ السما
بأنجمها ما جَمّع اللهُ أو بـدّد

تقيّم شعراً؟ حسبُه منكَ هَتْفَةٌ،
لها الله! بَدْرُ التّمّ خُطَّ على أسود

وهل كُنْهُهُ الحَرْمونُ؟ وجهٌ الى هُنا
ووجهٌ الى هَنَّاك، طَلْقٌ فلا يُربَدْ[1]

وماذا هُنا... هَنّاك؟... قُل كلُّ بُقعة
حللتَ بها عاطيّتها خَمرةَ السُؤدَد

فديتُك! مِن لبنان أنت زَها بها،
جَمعتَ كما المُعطي، تركْتَ كما المُفرد

لأشمَخُ تِيهاً حين أذكر قولةً
لك، اختصرت نُبلَ الوفا ومَضت تَشهد :

---

١) لا يُحبس

ـــ لأهلٍ أنا أصبحتُ منهم أظلُّني،
« وإن يَجحدا أُعتَبْ جريحاً ولا أُجحد

أنا الجبل العالي، كما الله جارُه،
أجَرّدُ مِن وردٍ؟... أجرّد لا أجرَد

*

ويــا ناثِــرَ الــدُرِ، المنابـــرُ اوّهت
عليك، وجُرحاً بات مَن كان قد غرّد

وقد أخذت عنك المنابرُ لَفحَهــا،
وطايبها الشِعـر الـذي بعـدَكَ استوحـد

شهـدتُكَ مـا بيـن الدُهـاة أميرَهــم
وسابِعَها ـــ فَلْتكتَمِلْ ـــ عُمُدُ المَعبد

ويُصغَى اليك، الحُجّةُ البكر تَكتسي،
على فَمِك التيّاة، بالرونق العسـجـد

فإن أنت فَنَّدتَ، السيوفُ تقطّعت
وإن أنت أيَّدت، الهُدى كلُّه أيّد

شهدتُك، هل لي أن أردَّك زعزعاً ؟
تشيل بقوم أو تُحّطُ ولا تَجهد

هدوءٌ كما الأولمب، رَبٌّ لأمرِهِ
أقول الروابي انصعن وامتثل الجلمد

*

وبنا خُطبةٌ لا النَشيُ مَسّ جلالَها
ولا ليلُ مَوتٍ عاثَ فيها أو استنفذ

تَظِلِّين صَرحاً للأولى عبدوا النُهى
وربَّ شُموخٍ في جبينِ النُهى يُعبد

*

بلوتُ شجاعاتٍ أنا، وعَجَمْتُها
بما لِيَ من كِبْرٍ، ومن هِمَم مُرّد

ورحت بها أفري العقول، أحكّها
على العاصف استوحيتُه البحرَ إن أزبد

واضربها في الهم والغمّ، انتخي
كأنْ قدرٌ عزمي، كأنْ قَبي مُيّد

ولكنْ مِن القبر استمع لي نهرتُها:
له، يا شجاعات، اسجدي، كلّهم سجّد

*

ويا نوفلَ الأبطال، جرّعك الأسى
أنِ الأرزُ في لبنان أُوقِفِ لا يصعَد

وأغمضتَ عيناً خلّفتهن شُيَّباً
جبالاً وشطآنا وبحراً بنا استمجد

وعدتُك: لبنانٌ يعود، وسيفُه
على الكل، لا أبهى لِشعب ولا أُخلد

جِمى عبقريٌّ، لا الى الغير عينُه
ولا القرش مولاه، وعدتُك لا يُفقد.

فهرست الكتاب

الوثيقة التبادعيّة

« من منتج للاستهلاك
الى فنان حياته »

الطبعة الاولى ١٩٧٦
الطبعة الثانية ١٩٩١

رؤيا عن الله والكون

نظام سياسي، فن حياة

١

سكّان كوكب الأرض، عشيةَ الالف الثالث بعد المسيح، يمكننا القول انهم اصبحوا واقفين على حقيقتين :

الاولى : أن الانسان قَفز قفزة كبيرة صوب معرفة ذاته. لم يبق يُرضيه ان نَضمن له عيشه وحسب ولا حتى رفاهَه

وحسب. اصبح يتطلّب لا أقل من أن يبدع أو يشارك في البَدْع، كأنما هو مزاملٌ لله.

الثانية : تعاسةٌ، اكبر تعاسة، ان تقتلع الانسان من ايمانه بأنه باقٍ الى الابد. وكيف نريده يتصور الارض، الكوكبَ الذي ما كان قد كان، لولا نشاطُه هو الانسان، سوى صخرة بلا قيمة مرميّة في الفضاء، هي تبقى الى مليارات السنين وهو، الذي ثَمّرها وبَدَع مدنيّتها، يَكُفُّ عن وجود بعد ٧٠، ٨٠، ١٥٠ سنة ؟ مع انه ليس في المعقول ان لا يكون الافضل وجد ليبقى أكثر. ان مجرد هذا الشعور، عَصرٌ أخذوا يقدرون الجودة في وجه الكثرة، أعاد الايمان بأبدية الانسان. مع كل موكبها: اللهّ قادر على كل شيء، بادعٌ اذن وله السرمدية، والى جنبه : خليقتُه التي تُكرَّم أو تُذَلّ بقدر ما تروح تقرُب ان تصير مِثلَه أو تبعُد. وفي اللغة اللبنانية ثلاث مفردات : « سرمدية »، « أزل »، « أبد » ــ ليس لها في اللغات الأوروبية إلا مفردة واحدة ــ بمستطاعها أن تسهم في توضيح علاقة الانسان بالله. ان السرمدية، بجزئيها الازل والابد، يَملكها الله وحده. الأزل، اعني الماضي الى ما لا حد، لا يملك الانسان منه ولا ثانية. من هنا وجوب أن يتّضع، الى حد

الانمحاء، امام الله. أمّا الأبد، اعني المستقبل الى ما لاحد، فيملكه الانسان هو والله معاً. من هنا، بالمقابل، وجوبُ ان يشعر بكرامةِ أجملِ الكرامات.

أن يضارب لا على أقلّ من أن يدعِ ولا يتنازل عن الايمان بمزاملة الله في انه باقٍ الى الابد، بهاتين الاثنتين يتحدّد اليوم الانسان. ولربما يكون هكذا، في بعض الكواكب، كلُّ عاقلٍ راق سوف يَلتقيه الانسان.

٢

هذا الوعي كان موجوداً في التاريخ، بشكل ومضات نور. وومضات النور هذه هي التي جعلت الانسان، حتى فيما كان يتخبط، يوجد انظمةً سياسية يَحكم نفسه بمُوجبها، ويمضي خطُّ تطورها مع خط وعيه لله والكون.

فلسفة حُكم، أعني رؤيا عن كيف سياسةُ الناس، موضوعٌ شغل كل الادمغة الكبيرة، على تَنوّع نشاطها : من تور وفيثاغورس الى لينين وتشرشل، وبينهم المثلث الاغريقي : سقراط وافلاطون وارسطو، واصحابُ النور الكبير : دانتي وشكسبير وغوته وفاليري، والعقلان غيرُ العاديّين : اوغوسطينوس والاكويني، لكي لا نتكلم على

الذين وقفوا انفسهم على السياسة كمكيافيل وهوبس. كلّ من هؤلاء اتخذ لنفسه مُنطلَقاً بعينه. وإنما يخيّل اليّ ان المنطلق ذا الوزن ينبغي ان يكون السؤال الخالد: « انا، الانسان، باقٍ أم لا، اكثر مما هي باقية ترابٌ وشجرة ونجمة؟ » سؤال الاسئلة هذا، عن البقاء، يستتبع فكرةَ وجود من هو رب البقاء: الله. ان العباقرة الذين رصفوا مداميك المدنية، على مدى التاريخ، هزّهم اكيداً هذا الموضوع اكثر مما هزّهم ما اذا كانوا سينامون على الطوى أو في بيت سقفُه يدلف.

كيف رأى الانسان هذا الخط الآتي من الله صوب الانسان مكملاً طريقه صوب الانسان ـ الموهبة، هكذا تَفتّق له أن يَعمل حكوماتِه.

تعال نمشي مع هذا الخط.

الله، او الاله الواحد، اول ما رآه الانسان رآه قوة وقادراً على كل شيء. اذن هذا الانسان ينبغي أن يكون له مَلِك يحكمه لا يستهان بما له من قوة ولا بما له من قدرة على كل شيء، ولو انه لا يتسمى احياناً ملكاً. وهكذا بدأنا كلنا ملكيين. اعني مشدودين الى حكم فردي أو شبه فردي، المهم انه دوماً حازم.

ونمضي مع الخط : وعَى الانسان انه الى جنب الله يوجد الكون، خليقته المتدرجة من حبة تراب الى مجموعة نجوم. بوحي هذه المعرفة رأى، الى جنب الملك : الوطن. وهكذا صرنا وطنيين. وكنا في بعض الاحايين نلحد او نتناسى الله ولا نعود نأبه إلّا للكون، ونعمل حكومات بعيدة عن القيم التي تستوحي القيم الالهية. ونظن اننا اذا هدمنا المَلِك او الحكم الحازم، نكون خدمنا الوطن. لكنا لا نلبث ان نعود ندرك ان الذي تهمه الوطنية لزامٌ عليه أن يستمر تهمّه الملكية، كما أن الاهتمام للكون لزامٌ أن يظل مستلهماً الاهتمام لله.

ويواصل الخطان مُضيَّهما : يصبح الانسان عارفاً بأن الكون ـ الخليقة، افضلُ جزء من اجزائه، ذِروتُهُ، تاجُه، هو الانسان. بالموازاة، يصبح الانسان عارفاً بأن افضل شيء في الوطن هو الأمة. المتر المربع من ارض الوطن مهم، لكن اهم منه المواطنُ الواقف عليه. ويولد حكم الامة. وهكذا نُصبح أُمْويين أو أنتر أُمْويين. وهنا، في

مرحلة اكتشافنا ان الانسان هو تاج الخليقة، تتعقّد متطلباتُنا وتتعقد الانظمة السياسية التي تطمَح الى ارضائنا، ولكنها تظل في روحها واحداً.

والخطان اللذان سيمضيان سيظل الواحد منهما يؤثر في الآخر ويلهمه. الآن، بات ينبغي لنا أن نبدأ نتبين أنه، بعد الانسان، يوجد الذي ليس أيما انسان، يوجد الانسانُ البادع، ذاك الذي خلقه الله ليؤازر الله في استكمال بدع الكون. وهكذا يكون الخط السياسي ماضياً لا فقط صوب الامة التي تُنبت هنا وهناك افراداً بادعين وانما اكثر: صوبَ الامة المتبادعة. لفظنا كلمة جديدة اشتققناها خاصة لِتعبّر عن مفهوم جديد يقول انه ليس بمستطاع الفرد ان يدع، بحق وبسهولة، إلّا اذا راح، في كثير أو قليل، يبدع معه سائرُ الناس ويُبدع حلمُهم معهم وأدواتهم التي هي بدورها بِدَع، إلّا اذا راحوا هو وهم يتبادعون. وان يتبادع الفرد معناها ان يبدع نفسه والعملَ الذي يبدعه والاشخاص الذين هم سواه وأحلامهم وأدواتِهم، وهؤلاء جميعاً يعودون بدورهم يزيدونه قُدرةً على التبادع. وهكذا صار ينبغي ان نصبح تبادعيين.

الانسان وهو بدائي يتطلع الى أن « يَقتني ». بعدها يعلو على نفسه فيتطلع الى ان « يكون ». بعدها يعلو اكثر فيتطلع الى ان « يبدع ». اليوم اصبح ينبغي له أن يعلوَ على نفسه اكثر واكثر ويتطلع الى ان « يتبادع »، اعجوبة لا

يقدر على اجتراحها إلا اذا عمل هو والناس وأحلامهم البِدَع وأدواتهم البِدَع معاً.

٣

التبادعية، في الاجتماع والاقتصاد، نظامٌ يفرض سيادة اثنتين : الحرّية والجُودة، ولا بحال يُحَدّ من الحرية، ولا بحال تُفَضّل الكَثرة على الجُودة.

الحرّية التي بلا حد تفرض على نفسها ان تكون مسؤولةً تجاه نفسها. بعد هذا الفَرْض الذي تقوم به اختياراً، (اعني في نطاق الحرّية ايضاً)، تعود لا تقبل بأن يُشرط عليها شرط. هذا معنى أنها بلا حدّ. ان الوجود العظيم، الذي منه يَنبعُ كل شيء، هو حريّة. بنتيجة وعي هذه الحقيقة، التي كانت مبدئية ثم برهن عليها التاريخ، نُدرك ان افضل تفتّح للانسان يَتمّ في الحرية. لكي تتبادع يَستحيل ان يلزمك شيء فوق الحرية. وهكذا يَستحيل ان يوجد نظام اجتماعي واقتصادي افضلُ وادرّ على اصحابه وألَذّ تطبيقاً من نظام حر الى ما لا حد. من هنا ان الوسائل التي ابتكرها الانسان، في مستهل التاريخ، وخدمته لكي يمارس حريته بسهولة لا يجوز له أن يَرفضَها بشيء من

التهوّر او من الخفّة. مَثَلٌ على هذه الوسائل : المال. إن تَصنيمَ بعضنا للمال، ذاك الذي جعل المال احياناً يثمّر نفسه لصالح نفسه، يجعَل الانسان زلْمةً له، هذا لا يجوز ان يجعلنا نستهين بالمال وبأنه أمرن وسيلة لتسجيل حصول الجهد الخيّر أو لنقل الجهد الخيّر من مكان الى مكان. استبدالُ المال بأيّما شيء سواه ردة الى البدائية. المال كالابجدية : الشّعب الذي عملهما كليهما عَملهما لا يزاد عليهما شيء. تَقدر ان تخربط في أصول استعمالهما، لا تقدر ان تستغني عنهما. ليس من مال أو ابجدية عند الجماد أو النبات أو الحيوان. والانسان عَمِل المال والابجدية ؟ المالُ والابجدية يبقيان للانسان. واضحٌ مَن المالك ومَن المملوك. تَتغيّر الادوار، يتخربط كل شيء. والحكاية التي يعرفها الصغار لكم يروح غالباً يتناساها الكبار : بدويٌّ من الصحراء عثر على قطعة من معدن، قال : « ويش ريدها » ورماها. وجدها ابنُ مدينة، عمل منها مفتاحاً ثمنُه ليرة. وجدها سويسراني، عمل منها ساعة ثمنها ٢٠٠ ليرة. وجدها عالِم، استخرج منها طاقةً ثمنها ملايين. قطعة المعدن الصغيرة تلك لا قيمة لها بذاتها، تصبح لها قيمة وتأخذ تكبر هذه القيمة بنسبة ما يُضافُ اليها انسان. ونستخلص : المال، المال الذي يَبقى عارفاً

حَدّه، يُعطي التعاملَ حُرّية هائلة. لهذه، المال خالد. ومِثلُهُ الرأسمال وحَقُّ التملّك. ألا فليجتهد الانسان، فرداً أو جماعة، ليجعل دخله بقدر ما يريد، التبادعية، التي لا تقدر ان تكون له إلّا اذا كانت لغيره، تُدفَعُه من هذا المال، لصالح الجماعة، بقدر ما تتطلب اللعبة التبادعية. وهذه اللعبة، بقدْر ما تؤمن خير الجماعة، تكون مؤمّنة خير الفرد. حرية في التعامل لا حدّ لها، ما مثلها سنَد لتفجير الخير. ومن الخير تتغذّى الموازنة لتكون قوية، أعني لتقدر على تنفيذ المُخطَّط الطموح. والموازنة اثنان : أخذٌ من المكان الواجب أن يؤخذ منه، وعطاءٌ للمكان الواجب أن يعطى. والتبادعية، التي هي حرية مسؤولة، تجعل المنتج تَلَذّه زيادةُ مساهمته سنة بعد سنة في تنمية الموازنة، اعني في تنمية تبادع أُمّته الذي ينبغي ان يوصل الى تبادع أُمم العالَم، أعني البشرية التي هي عائلته الكبيرة.

والجُودة هي التي ينبغي أن تشمل كل شيء : الشخص ــ انتَ والغير ــ العملَ، التعاملَ، الأهدافَ وحتى الاحلام. من هنا ان التبادعية جُودةٌ عمومية، للانسان وللشيء معاً. هي اذن رَفْضٌ مجتمعِ الانتاج للاستهلاك، رفضُ السُّرعة التي تَلْهَث ولا تُوصل إلّا الى المكان الذي

يان في النهاية أنّه متأخر عن المُنطلَق، رَفْضُ العمل الكَثْرويّ الذي لا يَنْقَعُ غلّة. على النقيض من كل هذه يكون الانتاج الجودوي، ذاك الذي يجودن نفسه ويجودِنك أنت صاحبه. يحوّلك من مُنتج للاستهلاك الى فنّانِ حياتك. فرْق، فرق كبير، بين أن تضيف الى نفسك وان تتجودن. التبادعية ليست حركةَ ازدياد، انها بالاحرى، حركةُ كَسْر طَوق، نَفاذٌ الى درجة في الوجود أعلى. حتى المعرفة، المعرفة العظمى، تصبح، على ضوء التبادعية، جَوادات قلب ايضاً: نخوةٌ، وعطاء، ومحبة للكلّ، وصِدْقاً، وقدرة على تذّوق الجمال، وشجاعة كلمة خلّاقة، ولفتة تلف الكون وما بعد الكون، ومضاربة على لُعَبِ شَبيهةٍ شيئاً بِلُعَبِ الله.

فهرست المجلد



